ميشال عون

أؤمن ما به

حوار مع ديزيريه صادق

مؤسسة
ميشال عون

الصياغة العربية: رلى نصّار

ISBN 978-9953-0-39558

مؤسسة ميشال عون

ميشال عون

أؤمن بما

حوار مع ديزيريه صادق



مؤسسة ميشال عون

تمهيد

كانت صوره محظورة،
والسجن مصير من يوزّعها،
وها هي اليوم إلزامية
تتصدّر المؤسّسات الرسميّة.

«عون رجع»
ليس فقط بأحرف خُطّت بعجل،
على جدارن بلد نفي منه،
إنّما رئيساً في القصر
الذي أجبرته معادلة القوّة على مغادرته.

خسر المعركة
منذ ستّ وعشرين سنة،
وها هو اليوم يربح حرب الحقيقة.

فعلى هذه الأرض، حيث ينمو الأرز،
لا يمكن للحقائق أن تبقى مطمورة.
يطول الزمن، ثم يأتي يوم غير منتظر
تخرج فيه لتنتصر على الأضاليل.

الجنرال صار الرئيس،
ولكنّ الرئيس يبقى لنا العماد،

ذاك الذي خاض حرب التحرير
عندما كان لبنان يرزح تحت الاحتلال،
وبادر بمدّ اليد لإرساء السلام
عندما صار السلام ممكناً.

الوحدة الوطنية برنامجه،
ومحاربة الفساد عقيدته.
الهوية، الوحدة، الحقيقة...
كلمات ثلاث سكنته
وخطّت طريقه ورسمت قدره.

لم تهتزّ يوماً ثقته،
لا بنفسه ولا بشعب لبنان العظيم،
الذي وقّع معه على العلم العملاق
ليؤكد انتماءه لوطنٍ حرّ،
والذي حُفرت أقدامه على طرق بعبدا
ليزنّر القصر الرئاسي
وليعمّده باسم بيت الشعب.

لبنانيّون كثر لم يفقدوا لحظة إيمانهم بهذا القائد
الذي يشبههم ويجمعهم.
وطالما أدهشهم ببساطته وقربه منهم،
مع أنه يختلف عنهم.

لم يحصل قبل أنّ أحداً أعاد كتابة التاريخ،
بإيمانٍ راسخ، من ذلك النوع الذي يزحزح الجبال،
وبمثابرة لم تعرف الوهن أو التعب،
وبإرادة صلبة جبارة لم يثنها كلل أو ملل،
فاستمرّ وتابع وأكمل إلى حين إنجاز المهمّة
والوصول إلى الهدف: لبنان.

التقيت ميشال عون
قبل بضعة أشهر من هذا الحدث العظيم،
وطلبت منه التحدّث عمّا يؤمن به،
ضمن أسئلة وأجوبة من دون أيّ تحضير مسبق،
وحوارت غير مترابطة،
فوافق، تاركاً أفكاره تنساب بحرّيّة.

إنّ كسر الخطاب التقليدي،
وتحرير الكلمات،
هما بدون شكّ الطريق الأصدق
نحو مشاركة اللحظات الثمينة.

وها هي اليوم بين أيديكم،
مبوّبة ضمن خمسة عناوين.

ديزيريه صادق

مقدّمة

أشهَر من جنرال على علم،
لكنّه لم يُكتشف بعد.
لقد قال وكتب من دون مواربة،
كلّ ما صال وجال في فكره.
على الرغم من ذلك، يسمعونه ويقرؤونه،
لكنّهم نادراً ما يستوعبونه.
وللغرابة، محبّوه، مثل مبغضيه، يجهلون، بالقدر عينه،
مدى اتّساع فلسفة الحياة عنده،
وبراعة تمكّنه من سبر أغوار المعرفة.
لم يستطع أحد مثله أن يستثير الشعور والشعور المضاد في آن،
وذلك من دون أن يغيّر شيئاً في مواقفه التي تبقى هي هي؛
مخلصة للحقيقة وللمبادئ التي عليها تربّى،
للمهنة التي انتقاها،
للبلد الذي كرّس له حياته،
للزوجة التي تشاطره الحياة،
لبناته الثلاث اللواتي هنّ عنده القلب والزند والعقل.

أهمّ وأبعد من ردّات الفعل السريعة،
من الخطب السياسيّة، ومن المقابلات الجدليّة،
حان الأوان لنكتشف ميشال عون
يخبرنا عمّا به يؤمن، عن جوهر ما هو أساس عنده،
والذي يُرسم ببضع كلمات، وبكثير من الحسّ المرهف.
كي لا يبقى لنا أخيراً من الجنرال،
سوى الإنسان بصيغة المفرد،
وبصفة الاستثنائي.

ضِدٌّ وبِدٌّ

تتصادم الأضداد؟ تتكامل؟
الأكيد أنّها تؤثّر فينا،
لتصبغ حياتنا.
ما من أحد استثار هذه الأضداد
أكثر من ميشال عون،
إن عند محبّيه
أو عند منتقديه.

١٢ ثنائية متضادّة
و١٢ درساً في الحياة.

الحبّ والكراهية

الحبّ هو انجذاب وحنان،
والكراهية هي رفض وبغضاء.
لكن، لا يمكن أن نحبّ أو أن نكره من لا نحترم،
ومع أنّهما شعوران متناقضان،
فإنّ أيّاً منهما يمكن في لحظة أن يحلّ محلّ الآخر.

الفرح والألم

«والضدّ يُظهر حسنه الضدّ»، ويتيح قياسه.
الفرح يصاحب حلماً قد تحقّق،
بينما الألم، رفيقُ الأحلام المتكسّرة.

الشجاعة والجَبَانة

أمام الخطر، الشعور بالخوف طبيعيّ ومبرّر،
فهو الدرع التي تحفظ الحياة،
وعدم الخوف يعني عدم إدراك الخطر.
ما يُحدث الفرق هو التعاطي مع هذا الشعور؛
فالشَجاعة هي في السيطرة على الخوف
ومواجهة الخطر،
أما الجَبَانة، فهي سيطرةُ الخوف،
والهروب من المواجهة،
الى حدّ الاستسلام.

ما أنا وما أملك

ما نحن عليه وما هو لنا.
ما نحن عليه هو كياننا،
وما نملكه هو حقائبنا.
الثراء الحقيقي هو في ما نحن عليه،
أمّا المصطنع فهو في ما نملكه.
ما نحن عليه منصهر مع شخصيتنا،
بينما ما نملكه غريب عن الذات.
حتّى ولو كان الإنسان يحتاج للمُلكية،
فهو يبقى الأولويّة.

الجسد والروح

كلٌّ منهما يتغذّى من الآخر،
الجسد يحتضن الحواس الخمس، والروح تتغذّى منها.
ومع الوقت، يضعف الأول،
فيما يغتني الثاني.
كما يقول كورناي:
«لو أن الشباب يعرف،
لو أن الشيخوخة تقدر...»

المذكّر والمؤنّث

بلقائهما تُعطى الحياة، وبعدمه تفنى.
يختلفان في مكامن عدّة:
طريقة التفكير، طريقة التصرّف،
الانفعالات، القوّة الجسديّة...
لذلك، هما يكمّلان بعضهما البعض،
أمّا المساواة، فيجب أن تكون في الحقوق.

النَّعم واللا
الاثنان يرتّبان مسؤولية على قائلهما.
الأصعب بالطبع هو قول لا،
لأنّ اللّا تولّد المعارضة، وقلّة يملكون الشجاعة لقولها.
ولكنّ النَّعم أيضاً تتطلب التزاماً،
قد يكون صعباً على المدى الطويل.

النصر والهزيمة
إنتصار أحد ما لا يعني هزيمةَ آخر.
النصر يبقى مرحلةً يمكنها أن تؤدّي إلى نصر آخر، أو إلى هزيمة.
كلٌّ منهما هو انعكاسٌ للآخر، فهما وجهان خادعان للحياة،
ويتغيّر معناهما وفقاً للموقع الذي ننظرِ منه إليهما..
إذا انتصرت لا تسحق ولا تُذِل،
وإذا هُزمت لا تنسحق ولا تنذَّل،
يجب إيجاد التوازن ما بين الحالتين.

الحرب والسلم
الحرب هي مرحلة من البربريّة وانقطاع عن الحضارة،
السلام هو الوضع الطبيعي، هو الهدوء.
الحرب مرحلة عابرة استثنائيّة في حياة الشعوب،
بينما السلام هو القاعدة.
هناك حرب الفتوحات، وحرب الدفاع عن النفس،
وهناك أيضاً حروب تندلع بسبب التلاعب بالوقائع والحقائق،
عبر تضخيم خطر غير موجود أصلاً.
بعض علماء الاجتماع يقولون
إنّ الحرب ظاهرة اجتماعيّة متكرّرة بطبيعتها؛
فإرادة التملّك ونزعة السيطرة
هما جزء من الطبيعة البشريّة.

الأخلاق والقانون
الأخلاق أسمى من الحقوق؛
فالأخلاق تنشد الكمال،
بينما القوانين تعاقب الخطأ.
ومع أن القوانين تحدّ من رفعة القيَم الإنسانية،
ولكنّ الاثنين يجب أن يتلازما معاً.
لقد تربّينا في صغرنا على كلمتي «العيب» و»الحرام»،
العيب هو ألّا تقوم بما يتناقض مع الأخلاق،
والحرام هو ألّا تقوم بما يؤذي الأخرين،
أو يشكّل اعتداءً عليهم.

الحاضر والماضي
الحاضر هو ترجمة لتطوّر الماضي،
وينبئ أحياناً بصورة المستقبل.
هو لحظة ما بين الماضي والمستقبل،
لا يمكننا الإمساك بها لأنّها متحرّكة،
تنساب من بين أصابعنا.

الذاكرة والنسيان
على درب الحياة،
يمكن اعتبار كلّ منهما أفضل ما لدى الإنسان وأبشعه؛
فالذاكرة خزّان المعرفة والتجربة،
ولكنّها ملحٌ على جروح الأيام.
أمّا النسيان فهو علاج الألم،
ولكنّه آفة المعرفة.
توازن الإنسان هو في نسيان
ما يؤلم وحفظ ما يفرح أو ما يفيد.

تساؤلات

كلمات لم تأتِ وليدة الصدفة
بل جاءت منتقاة بعناية
ومحدّدة بكل صفاء.
تسبق الزمن بذكاء.

اللاوعي

هو أرشيفٌ لا نستشيره،
ولكنّه يفرض نفسه.

المجهول

هو الظلمة،
يجب محاولة اكتشافه أو اختراقه
ليصبح أكثر وضوحاً.
إنّ اتخاذ قرار فيما جزء من معطياته مجهول،
يعني قبول المخاطرة باحتمال الفشل.
في الحالات اليائسة والأوضاع الخطرة،
قد نفضّل أن نلقي بأنفسنا في المجهول.
في الأساس، أنا إنسان منطقي،
وقراراتي ترتكز على العقل قبل الإلهام،
ولكن عندما تكون كلّ المعطيات مجهولة،
نحتاج إلى الإلهام،
وربّما إلى «النذور» للقدّيسين.

الرؤية

تفكير آت من عالم المجرّدات اللامحسوس.
ولكنّه يُبنى على تقدير صحيح
لسير أحداث قائمة ومتفرّقة،
وتقدير لتلاقيها في المستقبل،
وللحدث الجديد الذي سينتج عنها.
غالباً ما يحصل في الظلام،
الذي هو بحر من المجهولات.
وعندما انبلاج النور نجد الإجابة على التساؤلات.

الموهبة

تولد مع الإنسان، بالفطرة.
أيّ موهبة تميّزك؟
هي «الرؤية»، من دون شكّ.

الفشل

يجب التمعّن في الفشل لتحويله نجاحاً.
الفشل هو في عدم المحاولة،
وليس في عدم النجاح.
١٣ تشرين هو التاريخ الأقسى في حياتي،
حين واجهت الخسارة ثمّ النفي،
وطوال وجودي في فرنسا،
كنت على يقين أنّني عائد إلى لبنان،
وعدت، وربحت معركتي.
عندما غادرت لبنان توجّهت إلى اللبنانيّين، بالقول:
«إنّ العمل الذي بدأتموه لن ينتهي إلا بتحقيقه، فإلى اللقاء.»
أعطيت وعداً والتزمته، لأنّني قرّرت أن أنجح.
أنا لا أؤمن بالفشل.
الهزيمة غير موجودة في قاموسي.
إذا لم أنجح في تحقيق شيء ما،
لا أحيد عن الهدف النهائي،
بل أبدأ من طريق آخر توصل إليه.
عندما يُقال لي «هذا مستحيل»،
أُجيب «يبقى لي شرف المحاولة».

الجيش
مؤسّسة تلبّي حاجات الدفاع.
نعيش في عالم تسوده العدائيّة،
والجيش موجود ليجابه التهديدات.
إطلاق النار هو للدفاع عن النفس،
وما خلا ذلك يصبح جريمة.

القوّة
هي ثنائيّة، قوّة جسديّة وقوّة معنويّة،
وقد لا تترافقان معاً.
القوّة المعنويّة
هي في تحمّل الألم من دون أن يتأذّى الجسد،
وهي أيضاً القدرة على تحمّل خيبات الأمل.

خيبة الأمل
خيبات الأمل موجودة،
وهي ليست فقط تلك المرتبطة بأمور الحياة،
ولكن أيضاً المرتبطة بالبشر،
برجال ونساء سبق وعلّقنا عليهم آمالاً كبيرة.
وخيبة الأملَ الكبرى هي عندما يتحوّل الحبّ إلى كراهية.

الخيانة
هي انهيار أخلاقي.
في الخيانة العسكريّة،
القوانين تحاسب وتعاقب.
والخيانة السياسيّة؟
هي أيضاً انحطاط أخلاقي،
ولكنّها تولّد لديّ اللامبالاة؛
فالمرء يغضب أو يعاتب ويحاسب من يهمّه من الناس،
أو من يريد الإبقاء على العلاقة معه.
وخلاف ذلك، التجاهل واللامبالاة هما الأفضل.
ما الأصعب، موت عزيز أم خيانته؟
الموت،
من يخن لا تأسف عليه،
دعه يرحل، واقلب الصفحة.

الغفران
أعرفه جيداً ولي تجربة معه.
لقد سامحت الذين حاولوا اغتيالي، وحتّى لم أعاتبهم،
وهذا لأنّي مسيحي في أعماقي.
هي ليست فقط مسألة إيمان،
فأنا في الواقع تلميذٌ للمسيح، الذي، بالغفران والمحبّة،
تجاوز خط المستحيل.
وأعظم ما في التعاليم المسيحيّة:
أن نقاوم في موقع الضعف
ونسامح في موقع القوّة.

الوفاء

الحبّ وفيّ، أمّا الشهوة فتخون.

السعادة

هي التوازن الداخلي.
حالة روحيّة لا يمكن الإمساك بها.
كثافة شعور يستحيل قياسها.

الألم

الألم النفسي أيضاً كثافة شعور،
وعلاجه الوقت.
الحياة تقدّم الكثير من التعويضات،
لتساعد على تخطي الوجع.

الرحيل

يكون مقبولاً إذا اقترن بالعودة.
في الحياة هناك الكثير من الرحيل،
والكثير من الفراق.
الإيجابي الوحيد فيها
هو ذاك الذي يترافق مع أمل العودة واللقاء.

الموت

البعض يعتبره مرحلة.
هل هو نهاية أم بداية شيء جديد؟
في كلّ الأحوال هو نهاية حياة.
ليس لدي فضول إدراك ماذا بعد موتي،
لا أضيّع الوقت بالبحث،
لمعرفة ما لن أعرفه أبداً.
فكري لن يستطيع تخطّي الحدود المفروضة عليه.
بالنسبة لمؤمن؛
عند الولادة ترتدي الروح جسداً،
وعند الموت تبقى الروح ويفنى الرداء.
عندما نبكي موت أحدهم،
فإنّما نحن نبكي أنفسنا.

التقمّص

لا شيء مثبتاً،
نجهل ماذا بعد الحياة.
إذا تمكّنا من اكتشاف سرّ الوجود،
فإن الله لا يعود موجوداً.

الإيمان

هو شخصي وغير محسوس،
وهو الوحيد الذي يجعل الموت أقلّ قساوةً،
وأكثر تقبّلاً.

الدين

لمّا عجز الإنسان عن معرفة
من أين أتى والى أين سيذهب،
كان الدين هو الحلّ.
مرتكزه الإيمان بالله،
الخالق الكلّيّ القدرة.
وجاءت الأنظمة الدينية ترجمةً لهذا الحل،
وصار لها طقوسها وقوانينها وقيَمها.
في مطلق الأحوال،
الدين كان ولمّا يزل في خدمة الإنسان،
ولكنّ الخطورة أن يصبح عرضة للاستغلال،
ومادّةً للتعصّب والتطرّف،
عبر احتكار الله في معتقد واحد،
ورفض الآخر المختلف بمعتقده،
ومزج العلاقة العاموديّةَ بين الفرد والله،
بالعلاقة الأفقيّة بين البشر.

الله

هو سرّ الحياة.

الأعجوبة

يجب أن نريدها فعلاً،
وأن نعرف كيف نتلقّاها؛
فهي نتيجة سعي بشري، وقبول إلهي.

الانتظار

هو السجّان الأكبر.
فإذا انتظر الجائعُ من يطعمه،
سيمضي العمر جائعاً.

الزمن

هناك الوقت وهناك الزمان،
الأوّل يمكن قياسه،
والثاني أبدي سرمدي أزلي.
الأوّل من صنع الإنسان،
والثاني هو المجهول.
نحن المارّون وليس هو.
في الواقع، الوقت يحدّد الأشياء،
بينما الحياة من دون حدود.
حاول الإنسان تجزئة الزمن
ليتمكن من تحديد نفسه فيه،
فكان الوقت؛
يعبّر عن نفسه من خلال الماضي
والحاضر والمستقبل،
يُصَرَّف في كلّ الأزمنة.
هو مدى دوام الحدث،
هو النهار والليل،
هو الفصل...
في امتلائه غنىً، وفي فراغه الفراغ.
لا نعرف كم من الوقت سنمشي على درب الحياة،
ولكن، إبحارنا ما بين ماض وحاضر ومستقبل،
يجعلنا ننسى أنّ حيّاتنا محدّدةٌ به.

التغيير
هو الخلق الدائم،
وقد اعتمدناه عنواناً لخطّنا السياسي،
وشعاره التغيير والإصلاح.
أهو محرّكك؟
بالطبع.
هل حدث وغيّرت رأيك؟
الحياة سلسلة من الدروس المتتابعة.

الحلم
كلّ شيء يبدأ بحلم،
هو نقطة انطلاق الاختراعات الكبرى،
كلّ الإنجازات العظيمة بدأت بحلم:
جول ڤيرن، الكهرباء، الهاتف، الفضاء..
هو الفكر الأغنى، ومؤشّر تطوّر العالم.
شعاري الدائم:
«حلم، إقدام، تمرّد».

الحياة
هي حركة الكائنات،
فإذا تجمّدت الحركة ماتت الحياة.

الكينونة
أنا أفكّر، إذاً أكون،
أنا أفكّر، إذاً أنا موجود.
أنا مخلوق،
الفكر يعبّر عن وجودي،
والأحاسيس تخلق الفكر.

الإنسان
تمكّن من قوانين الطبيعة وتخطّاها،
غزا الفضاء، وقهر المسافات،
طوّع قوانين الجاذبيّة،
غيّر طبيعة المخلوقات..
ولكن، علي الرغم من كلّ ذلك،
لم يستطع التخلص من غريزة القتل فيه،
وفي مكان ما، تكون أسوأ من تلك التي في الحيوان.
«صيده» لا علاقة له بحاجاته ولا بالجوع،
حتّى أنّه قادر على قتل صديق.
مأساته: «الروح قويّة والجسد ضعيف».
ليس بملاك ولا هو شيطان،
يمضي العمر متأرجحاً ما بين هذين النقيضين.
من هنا أهميّة الضوابط والتربية،
وجِدت لتشدّ الإنسان الى الأعلى،
ولتُبرز عنده أفضل ما فيه.

الروح
هي اللامحسوس،
هي البعد الربّاني فينا.

الحبّ بالجمع

بالتحديد أو من دون حدود،
مراحل تحكي
عمّا يعطي معنىً للحياة،
ومغزى.

حبّ الوطن

حاربت دفاعاً عن وطني،
لأنّي أحبّ شعبه،
ولأني أحبّ الأرض التي إليها أنتمي،
والتي هي جزء منّي.
الوطن هو العائلة، الأصدقاء، الطبيعة، الزرع،
هو توارث الثقافة والعادات.
طبيعتنا الإنسانيّة غنيّة بالمشاعر والانفعالات،
تشبه طبيعة أرضنا الخصبة التي تعطي من دون حساب،
وينمو فيها الزرع بسهولة وتدفّق.
لطالما تميّزنا بكرم الضيافة العفوي؛
قُرانا كانت دوماً مفتوحة لاستقبال من يفد إليها.
لا فنادق ولا مطاعم،
إنّما بيوت أهلها،
حيث يسود السخاء وحسن الاستقبال.

حبّ الحقيقة

الحقيقة تحرّرنا،
من كلّ شيء،
حتّى من ذاتنا.
تعلّمنا حدودنا، عبر تحديد مساحة حرّيتنا.
أو بالعكس،
عبر إعطائنا مساحة أكبر.
يجب قول الحقيقة، والتعبير عن الواقع.
بأبعادها المطلقة والروحيّة،
لا تكون الحقيقة ملموسة إنّما هي مجرّدة،
ولا يمكن للعلم أن يسبر أغوارها.

حبّ الحرّيّة

تحرّر الإنسان من كلّ شيء،
إلّا من القيود الاجتماعيّة.
تحرّر من قوانين الطبيعة؛
ليس لديه أجنحة، ومع ذلك يطير،
لم يعد عرضةً للحرّ وللبرد.
ومع ذلك، عندما تتفلّت عناصر الطبيعة،
يعود الى نقطة البداية،
يشعر بعجزه وكأنّه لا شيء.
تثور الطبيعة، وبحقّ،
لتذكّره بالنظام،
ولتُفهمه كم عليه أن يحترمها.
ما من حرّيّة من دون مسؤوليّة، ولا مسؤوليّة بلا حرّيّة.
وحدها الحقيقة لها الحقّ أن تضع حدوداً للحرّيّة.

حبّ الله

الخطيئة الأصليّة لآدم وحوّاء
منعت الإنسان من الاعتقاد بندّيته مع الله،
وأعادت تموضعه ضمن حدوده البشريّة،
وتذكّره بها كلّ يوم.
وهذا يطرح جدليّة:
«هل أنّ الله هو فكرة مِن اختراع الإنسان،
أم أنّ الله هو من خَلَق الإنسان؟»
يقين الجواب هو ما نبحث عنه طوال حياتنا،
نجده أو لا، فذلك يقرّره الإيمان.

البحث هذا انطلق من تساؤلات فلسفيّة:
من أين أتيت؟ ماذا جئت أفعل؟ إلى أين أذهب؟
الإجابة عن التساؤلَين الأول والثالث تبقى لغزاً،
أمّا «ماذا جئت أفعل؟»
فقد وجدنا له الحلّ عبر إرساء نظام حياة،
وقواعد للعيش المشترك بين البشر.
ولمعرفة ما إذا كان أيّ تصرّف لنا
يتواءم مع الأخلاق أم لا،
يكفي أن نطرح سؤالين:
هل يمكن أن يؤذي أحداً آخر؟
هل يمكن أن يُخلّ بنظام الطبيعة؟

لقد تطوّر الله عبر التاريخ،
في البداية، عبد الإنسان ظواهر الطبيعة،
البرق والرعد، وحتّى الأوثان،
وبعدها عبر من الإله الميثولوجي، إلى الإله الماورائي.

الأول، يهوه، كان انتقاميّاً،
العين بالعين والسنّ بالسنّ،
كان يخاطب شعبه على الدوام، وكانوا يخافونه.
يعاقبهم إذا لم يطيعوه،
ويحميهم في حال الخطر.

يسوع المسيح كان مغايراً،
قال لنا إنّ الله قد خلقنا على صورته ومثاله،
وإنّه يحبّنا.
معه عبرنا من الله المهدِّد إلى الله المحبّة.

وصايا موسى العشر،
والتي جزء منها ممنوعات،
هي معاهدة عدم اعتداء بين اليهود،
بينما تعاليم المسيحيّة
هي معاهدة سلام بين البشر.

الوصايا التي وردت إيجاباً
في الشريعة الموسويّة استمرّت:
أنا هو الربّ إلهك.
أحفظ يوم الرب.
أكرم أباك وأمّك.

أمّا تلك التي تحمل طابع النهي
والمنع فتغيّرت مع المسيح:

«لا تحلف باسم الله بالباطل»،
صارت «فليكن كلامكم نعم نعم، أو لا لا».

«لا تقتل»،
صارت «أحبب قريبك كنفسك»،
لا بل أكثر، «إفتد قريبك»،
كما فعل يسوع عندما افتَدانا على الصليب.

«لا تسرق»،
تحوّلت إلى «أترك كلّ شيء واتبعني».

«لا تشهد بالزور»،
حمّلنا فيها المسيح مسؤوليّة أكبر،
عندما دعانا إلى الشهادة بالحقّ وللحقيقة.

وأمام بيلاطس البنطيّ قال:
«أنا ما جئت إلى هذا العالم إلّا لأشهد للحقيقة».

بتعاليمه، تجاوز يسوع الممكن وتخطّى عتبة المستحيل:
أحبب الآخر كما تحبّ نفسك».

أمّا فيما يتعلّق بطبيعته:
إنسانيّة هي أم إلهيّة؟
أهو ابن الله أم رسول، أم الروح القدس؟
في الواقع، هذا الجدل لا يعنيني،
ولا أضيّع وقتي بالبحث عن إجابة
لن أتمكن أبداً من بلوغها.

في كلّ الأحوال،
يسوع صلب كإنسان،
وعلى الصليب تسلّل اليه الخوف،
ولكنّه تغلّب عليه،
وأكمل طريقه لتتمّ رسالته وتصل للناس.

فلولا الصليب لما كانت المسيحيّة.
وكلّ القضايا الكبرى لا بدّ من مرورها بصليبٍ ما.

ما هو صليبك؟

منذ بداية حياتي المهنيّة عشت الحرب،
وفي ما بعد النفي، بعيداً عن الوطن وأهله،
حيث فُرِضَت عليّ إقامة جبريّة،
وواجب التزام الصمت...
بعد كلّ الحالة التي أسّستها،
وكنت قائدها في لبنان.

اليوم، أكمل طريقي؛
طريق المحبّة والحقيقة والحرّيّة،
لبنانيّون كثر وضعوا ثقتهم بي،
وعلّقوا عليّ آمالهم...

لأجلهم، لأجل كلّ ذلك الإيمان،
لن أتوقّف،
وسأكمل الطريق حتّى النهاية.

الخيارات الكبرى

لو أُجبرت على خيارٍ واحد
لكان هذا هو!

قصّة لا تنساها؟

زواجي...

كنت نقيباً في الجيش في الثانية والثلاثين من العمر،
أخدم على الحدود الجنوبيّة، في مرجعيون.
رأيت ناديا، للمرّة الأولى في نادي الضباط هناك،
وكانت يومذاك مع شقيقتها ماغي ضاهر
التي كانت متزوّجة من نقيب أيضاً.
لفتتني، لكن لم يحصل بيننا أيّ اتّصال.
ومرّت الأيّام،
وصدف أنّي كنت أتبادل الحديث مع ضابط صديق يعرفها،
فسألني «لماذا لا تتزوّج؟»،
أجبته «لم ألتقِ بعد بإمرأة حياتي، بشقيقة الروح».
أخذ يسرد لي صفات ناديا، واقترح عليّ أن أزورهم،
فقرّرت أن أحمّله رسالة شفويّة لها تقول:
«أعرف أنّكم في العائلة لا تحبّون الضبّاط
لأنّ حياتهم غير مستقرّة ويتنقّلون كثيراً.
ولكن، هناك ضابط،
على الرغم من أنّه سيرسب في «فحص الطول» عندما ترينه،
ولكنّه يرغب بالتعرّف عليك عندما يسمح وقتك بذلك،
وفي المكان الذي تختارينه،
ونواياه حسنة».
أثارت الرسالة فضولها،
فوافقت على زيارتها في المنزل.
كان ذلك كلّ شيء في حينه،
وكنّا في خريف العام ١٩٦٧.
مرّت أشهر عدَة من دون أيّ خبر منها،

كانت متردّدة وغير قادرة على اتّخاذ القرار.
نصحني الأصدقاء بأن أقدم على خطوة جديدة
ولا أبقى في وضع الانتظار.
الضابط نفسه اقترح عليّ
أن يعاود الاتصال بها لتحديد لقاء جديد،
ما دغدغ كبريائي، فأخذت الهاتف وقرّرت أن أكلّمها
مباشرةً من دون وسيط..
وهكذا عدنا والتقينا، ثم خطبنا،
وتزوّجنا في خريف العام ١٩٦٨.

برأيي، لا يجب أن يقبل شخصان يحبّان بعضهما بتدخّل أحد
لحلّ مشكلة عالقة بينهما.
أذكر، عندما أبلغتني ابنتي الصغرى شانتال
بأنّها تريد الزواج بجبران،
اشترطت عليهما الانتظار حتّى يتعرّفا على بعضهما أكثر،
وقلت لهما «عندما تختلفان وتتصالحان لوحدكما،
من دون الحاجة إلى وسيط،
فهذا يعني أنّكما قد أصبحتما جاهزَين للزواج».
وقد اتّبعا فعلاً هذه النصيحة.

القصص التي لا تُنسى في الحياة
هي تلك التي تحدّد مسار حياتنا.
اللقاء هو ليس لحظة واضحة، هو عابر،
ولكنّ الزواج هو اللحظة بكلّ وضوحها.
من الأحداث التي طبعت حياتي أيضاً،
ولادة بناتي الثلاث.

أيّ مهنة؟

أنا ابن عائلة من الطبقة المتوسّطة،
والجامعة كانت مكلفة بالنسبة لنا،
ولم أشأ أن أكون عبئاً على أهلي،
وأنا أعرف وضعهم المادي،
فتقدّمت إلى المدرسة الحربيّة
من دون أن أخبر أحداً.
ولكن، سرعان ما ندمت،
وأحسّست وكأنني وقعت في فخّ من دونٍ أن أدري.
تردّدت في البقاء، لكنّي عدت وفكرت
أنّه لا يمكنني التراجع في التزام بهذه الأهميّة،
وعليّ أن أكمل ما بدأت به... وأكملت.

حلمي الحقيقي أن أكون مزارعاً،
لأنه لا يخضع إلا لقوانين الأرض.
أعشق الأرض،
هي مصدر الحياة فينا،
هي التي تغذّينا، وفي الوقت نفسه تتغذّى من حياتنا.

أيّ فنّ؟

الموسيقى. إنّها الفنّ الّذي ينطق بجميع اللغات.
تستثير الشعور إيّاه عند أناس جدّ مختلفين.
تجعلنا نبكي، نضحك، نرقص، نتألم..
حتّى أنّها قد تحرّك شعور الخوف فينا،
هي اللغة العالميّة.
كلّ الفنون لها ما يحدّها إلّا الموسيقى،
فهي تطير بحرّيّة ما بين أرض وسماء.
هل من قطعة مميّزة؟
الاختيار صعب.
فاپنسييرو، من مقطوعة «نابوكّو» لڤيردي.

أيّ كتاب؟

الإنجيل.

أيّ صورة؟

التي تجمع أفراد عائلتي الثمانية عشر،
ثمانية راشدين وعشرة أحفاد.
طلبت إنجاز طاولة طعام مع ثمانية عشر كرسيّاً،
لتجتمع العائلة بأكملها حولها.
من الضروري أن تتشارك العائلة الطعام،
فهذه لحظات ثمينة جدّاً في الحياة.

أيّ لون؟

البرتقالي هو كتاب مفتوح،
هو الشمس في شروقها ومغيبها،
هو الألف والياء، هو الفرح.
الأزرق هو السلام.
الأخضر هو الأمل،
هو لون البراعم التي تجدّد الحياة،
إذا كان عليك أن تلغي كلّ الألوان
وتبقي على واحد؟
الأخضر، لأنّه يعني التجديد،
ويرافق دورات الحياة: الفصول الأربعة.

أيّ حلم؟

وطن إنساني.
نحن الآن في بداية الحلم،
وفيه مراحل كثيرة.
يلزمنا الكثير من الوقت لبلوغه.

أيّ قدرة؟

إذا خُيّرت ما بين القدرات التي تمنحنا إيّاها الحياة،
فإنّي أختار الاحتفاظ بالذاكرة.

أيّ تعليم؟

يجب إرساء برنامج تربوي يحمل المعرفة الصحيحة.
أتخيّل له ستّ مواد:
- معرفة الجسم (العلوم الطبيعيّة)،
يرافقها برنامج رياضي.
- معرفة الغذاء، واعتماد برنامج غذائي
يتلاءم مع كلّ مرحلة من الحياة.
- معرفة كيف يحصل التكاثر ،
والإنجاب والتنظيم العائلي.
- الإنسان، الكائن الاجتماعي، قواعد التصرّف مع الآخر.
- الإنسان، المواطن، قواعد التصرّف مع الوطن.
- تاريخ الأديان، وتطوّر الفكر الديني،
والعلاقة مع الله، وتدرّج الوحي،
من فكرة الإله المادّي إلى الله الماورائي.

أيّ فيلسوف؟

سقراط،
أقدّر كثيراً أولئك الذين لم يكتبوا كتباً،
ولكنهم نقلوا فكرهم
من خلال تلاميذهم
على طريقة سقراط، يسوع، بودا...

أيّ سياسي؟

لا يكفي أن يكونَ السياسي بارعاً في الشأن العامّ
ووضْع الاستراتيجيّات
حتّى يكسب احترام الناس وتقديرهم؛
فكبار رجال السياسة لامعون في مهامهم بدون شكّ،
إلّا أنّ ما يميّزهم هو الصدق في التعاطي مع شعبهم.

الأقرب إلى هذه الصورة هو الجنرال ديغول،
الذي جمع الأمانة والقيادة بكلّ معنى الكلمة.
لم يخدع الفرنسيّين أبداً، وكان صادقاً معهم.
وتميّز بكونه مقاوماً، رفض الاحتلال في وطنه.

نابليون صار أسطورة حتّى خلال حياته.
مسيرته لافتة وصعوده مدهش.
إبّان الثورة الفرنسية كان ملازماً،
وصدف أن مرّ بعربته قرب حديقة تويللري،
فرأى الثوار ينصبون مدفعاً بشكل خاطئ،
فترجّل وأصلح لهم وضعيته.
صرخت الجماهير المحتشدة
«انظروا للملازم، إنّه مع الثورة»،
فأجابهم: « لا يا سادة، أنا مع سلاح المدفعيّة».

وهناك أيضاً المراوغ «مازاران»،
خلال الحرب بين إسبانيا وفرنسا، قالت له الملكة:
أطلب من الفرنسيين أن يصلّوا كي نربح الحرب»
فأجابها: من ناحية الصلاة، فإنّ الإسبان يصلّون أكثر منا،
ما نحتاجه في الواقع هو المال والرجال والمدافع».

أحبّ أن أتذكّر لحظات القوّة هذه،
فلها الكثير من المعاني والدلالات.

أيّ وطن؟

لبنان.
أكبر من أن يُبلَع، أصغر من أن يُقَسَّم.
إنّه العالم المصغّر،
إنّه خلاصة العالم بثقافته، وأيضاً بطبيعته،
حتّى المناخ يتغيّر ونحن على الطريق وفقاً للارتفاع،
فيصبح قارّياً في البقاع.
لبنان تعدّدي، بناسه وثقافاته.
هو فسيفساء تجمع مختلف الأديان،
فيه بصمات لكلّ الأعراق،
لغتنا الأولى كانت الآراميّة،
وقد تكلّمناها طوال سبعة آلاف سنة.
لبنان هو أرض رسالة، هو أرضٌ روحانية.

لو قيّض لك أن تمحو من لبنان شيئاً؟

أنا مع التعدّديّة الطائفيّة والسياسيّة والعرقيّة،
لذا لا أريد محو أيّ شيء منها.
ممكن محو السيّء من تصرّفات الناس.
غير صحيح أنّ الفساد سببه النظام الطائفيّ
كما يدّعي كثيرون.
هناك شرفاء وهناك فاسدون في كلّ الطوائف.
يجب فقط تطبيق القوانين والميثاق.
لدينا القوانين الأكثر حداثة في العالم،
ولكنّها للأسف لا تُطبّق.

وماذا عن الأرزة؟

هي الشاهد الحيّ الباقي على مرور المسيح في لبنان.

بعد هذه الخيارات الأربعة عشر الكبرى،
ها هي ستة وخمسون أخرى،
تجيب على «أسئلة بروست» الشهيرة،
مع بعض الإضافات.

النصّ الأساس للأسئلة،
ولإجابات «مارسيل بروست»، يعود للعام ١٨٩٠،
حين كان في التاسعة عشر من عمره،
يقوم بخدمته العسكريّة التطوعيّة في «أورليان»،
في سلاح المشاة.

بعد ١٢٧ عاماً،
نطرح الأسئلة الشهيرة على العماد الرئيس،
مترافقة مع عشرين سؤالاً آخر
لمزيد من الإحاطة بشخصيته.

أسئلة بروست

١- فضيلتك المميّزة؟

الرجاء.

٢-أبرز ملامح شخصيّتك؟

الصراحة.

٣-أفضل مزايا الرجل؟

الشجاعة.

٤-أفضل مزايا المرأة؟

النعومة.

٥-أبرز عيوبك؟

ثقتي السريعة بالناس، واعتقادي أنّ الجميع طيّبون وصادقون.

٦-أبرز حسناتك؟

لديّ حسنات عيوبي.

٧-أكثر ما تقدّره في أصدقائك؟

الوفاء والإخلاص.

٨-انشغالك المفضّل؟

المطالعة.

٩-حلمك بالسعادة؟

السعادة لا يمكن أن تحدّد.

١٠- ماذا يمكن أن يكون وجعك الأكبر؟

خسارة من أحبّهم.

١١- لو لم تكن أنت، من تحبّ أن تكون؟

ما أنا عليه.

١٢- البلد الذي تتمنّى العيش فيه؟

لبنان.

١٣- لونك المفضّل؟

الألوان الزاهية.

١٤- زهرتك المفضّلة؟

الزنبق الأبيض.

١٥- طائرك المفضّل؟

عصفور الكناري.

١٦- كاتبك المفضّل؟

جبران خليل جبران.

١٧- شاعرك المفضّل؟

المتنبّي.

١٨- أبطالك في الأدب؟

Braveheart

١٩- بطلاتك في الأدب؟

سابينا في مسرحية أوراس لكورناي.

٢٠-مؤلّف موسيقي تفضّله؟
أحبّ الأوبرا، وڤيردي بشكل خاصّ.
في الموسيقى الشرقيّة أحبّ موسيقى الأخوين الرحباني.

٢١- رسّامك المفضّل؟
أحبّ الرسّامِين اللبنانِيّين: بول غراغوسيان، عمر أُنسي...

٢٢- بطل من الحياة الواقعيّة؟
كلّ من يقاوم في سبيل قضيّة عادلة يؤمن بها،
ويخاطر بحياته من أجلها.

٢٣- بطلة من الحياة الواقعيّة؟
زوجتي.

٢٤- الأسماء المفضّلة لديك؟
أسماء أولادي.

٢٥- طعامك المفضّل؟
كلّ طعام محروم منه.

٢٦- مشروبك المفضّل؟
العرق.

٢٧- أكثر ما تكره؟
الكذب.

٢٨- أكثر شخصيّة تاريخيّة تكرهها؟
نيرون.

٢٩- أكثر حدث تاريخيّ أثار اشمئزازك؟
هناك الكثير،
ويبقى في مقدّمها صلب السيّد المسيح،
ولكنّه في المقابل هو الذي مجّده.

٣٠- أكثر حدث عسكريّ أثار إعجابك؟
كلّ معركةٍ لم تحصل، وتمّ تفاديها.

٣١- أكثر إصلاح نال تقديرك؟
الديمقراطيّة.

٣٢- هبة طبيعية تتمنّى لو أنّها متاحة لك؟
الأجنحة.

٣٣- أيّ ميتة تختار لنفسك؟
الموت المفاجئ.

٣٤- مزاجك الآن؟
متفائل.

٣٥- أيّ الخطايا يمكن أن تتقبّلها وتصفح عنها؟
كلّ خطأ غير مقصود.

٣٦- شعارك في الحياة؟
الحقيقة لا تنكسر،
لا بدّ أن يأتي يوم وتنتصر.

أسئلة حرّة

١- أكبر لغز يستثير حيرتك؟
سرّ الوجود.

٢- أكثر جزء مخفيّ في شخصيتك؟
الحنان.

٣- موهبة تتمنّى امتلاكها؟
الصوت الجميل.

٤- أكثر سلوك يزعجك لدى الآخرين؟
التملّق ووقاحة النفاق.

٥- سلوكك تجاه إشارات القدر؟
أسمعها، ولكن لا أصغي إليها.

٦- استشراف لا تنساه؟
خلال المعارك، عشت الكثير من الحدس والاستشرافات.

٧- أكثر ما يشبهك في إنجازاتك؟
المقاومة.

٨-الصورة التي تحبّ أن تبقى عنك؟
إصلاحيّ.

٩- أكثر ما تفتخر به في حياتك؟
دفاعي عن وطني في جميع المراحل.

١٠- مرحلة تتمنّى أن تعيشها مجدداً؟
طفولتي.

١١- أكثر شخص تفتقد حضوره؟
أمّي.

١٢- مصادفة في حياتك لا تنساها؟
تاريخ ١٣ تشرين الأوّل،
حين أجبرت على مغادرة القصر الرئاسي
وبدء رحلة المنفى،
وتاريخ ٣١ تشرين الأوّل،
حين عدّت إلى القصر رئيساً للجمهورية.
الأرقام المعكوسة، ورجعة الزمن الذي لا رجعة فيه.

١٣- صورة ملاكك الحارس؟
وجه أمّي.

١٤- مكان تشعر فيه بالسعادة؟
بساتين الليمون والبوصفير، حيث أجمل رائحة.

١٥- أيّ ساعة في اليوم تؤثّر بك؟
الغروب.

١٦- حقبة تاريخيّة تتمنّى لو عشت فيها؟
لم تأت بعد.

١٧- رغبة لديك؟
أن أعيش مجدّداً بعض الذكريات.

١٨- ما تنتظره من أصدقائك؟
أن يبقوا دائماً أصدقاء.

١٩- ما تودّ إبعاده عمّن تحب؟
المرض والألم.

٢٠- قول تحبّه؟
وحده الصمت كبير، الباقي ضعف. (ألفرد دو فينيي)

العماد الرئيس

وتبقى الرغبة بتقاسم
تلك اللحظات الثمينة مع الجنرال.
حينما،
بعد ٢٦ عاماً من إبعاده بالقوّة عن بعبدا،
عاد إليها مُنتخباً للموقع الأوّل
في الجمهوريّة اللبنانيّة.

ما كان شعورك عشيّة الانتخابات؟

غمرني سلامٌ داخلي. كنت متأكّداً أنّ الوقت قد حان أخيراً لأتمكّن من تثبيت وحدة البلد وأمنه واستقراره عبر مصالحة عامّة.

كنت أعرف أنّ هذه اللحظة ستأتي، إذ قرّرت أنّني لن أستسلم ولن أتوقّف عن النضال ما دام هناك مواطنون يعلّقون عليّ آمالهم. التوقّف كان يعني هروباً، ولطالما كنت أردّد «أنّني لم أختر السياسة، بل وقعت في قلب المعركة السياسيّة، ولم يعد بمقدوري التراجع». يستحيل عليّ أن أخذل شعباً بكامله. إنّ إرادة الشعب قد حقّقت هذه المعجزة.

وخلال جلسة الانتخاب؟

كنت شديد الهدوء. أدركت على الفور أنّ هناك محاولة لتطيير النصاب بعد عدم مطابقة عدد المقترعين لعدد الأوراق أكثر من مرّة. طلبت من جميع نوّاب «التيّار» الاحتفاظ بهدوئهم، وعدم الردّ على أيّ استفزاز. كنت واثقاً أن لا شيء يمكنه وقف القطار الذي انطلق.

ولحظة إعلان النتيجة؟

الهدوء إيّاه، إضافة إلى سلام داخلي كبير. وأنا على المنصّة، كانت الوجوه أمامي تحمل تعابير متناقضة؛ فرح، فخر، اضطراب، غضب... البعض ابتهج، والبعض الآخر اغتاظ.

قلت في نفسي «في النهاية الأكثريّة قد انتخبتني، لا يهمّ إن كان بعض من وعدوا قد نكثوا بوعودهم».

من دروس الحياة: إنّ عدم احترام الإنسان لكلمته سببه الخوف أو الشكّ أو الخيانة.

بعد خطاب القسم سمعت من يقول «من كتب هذا الكلام للجنرال؟»

مع أنّهم يعلمون أنّني أكتب كلّ خطاباتي بنفسي، لا بل معظمها مرتجل في لحظة إلقائه.

والآن؟

للوصول إلى الرئاسة كان يجب ربح معركة انتخابيّة. أمّا اليوم فيجب إطلاق الحرب ضدّ الفساد والهدر، ويجب تطبيق الدستور ووثيقة الوفاق الوطني، وتأمين صحّة التمثيل وعدالته لكلّ مكوّنات المجتمع اللبناني، فهذا هو الضامن الوحيد للسلم الأهلي. بكلام أوضح: تطبيق القوانين.

لماذا في خطاباتك تتوجّه إلى اللبنانيّات قبل اللبنانيّين؟

لعدم تكريس فوقيّة الذكر على الأنثى، أو على الأقلّ لفرملتها.

خلال عهدي سأسهر على إزالة الخلل في المساواة بين الرجل والمرأة.

هل رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة قادر على تطبيق القانون؟

إذا كان الرئيس مدعوماً من الشعب فإنّه سيقدر.

وأنا من دون شكّ قادر، وسأفعل.

ملحق

تواريخ لا تُمحى

ميلاد، سلك عسكري،
حرب تحرير،
منفى، رجوع، حزب سياسي...
تتخلّلها أقوال وأمجاد للعماد.

«أن تعيش هو أن تحلم»

١٨ شباط من العام ١٩٣٥: ولد ميشال عون في حارة حريك.
١٩٥٥: دخل إلى الكليّة الحربية بصفة تلميذ ضابط.
١٩٥٨: تخرّج من المدرسة الحربيّة برتبة ملازم في سلاح المدفعيّة.
١٩٦٨: رُقّي إلى رتبة نقيب.
١٩٧٤: رُقّي إلى رتبة رائد.
١٩٧٥: رُقّي إلى رتبة مقدّم.
١٩٨٠: رُقّي إلى رتبة عقيد.

«أحترم السلطة وأقاوم التسلّط»

بين عاميّ ١٩٥٩ و١٩٧٢، شغل ميشال عون مهمّات مختلفة في سلاح المدفعيّة في الجيش اللبناني، وخدم في مناطق متعدّدة من لبنان.

في آب من العام ١٩٧٣، نُقل إلى صيدا في جنوب لبنان، ثم عُيّن قائداً لكتيبة المدفعيّة الثانية.

في بداية العام ١٩٧٦، مع اندلاع الصدامات بين الجيش اللبناني وجيش التحرير الفلسطيني، لمع اسمه وتمكّن من حماية المنطقة التي كانت لا تزال حرّة، وكان موكلاً بالدفاع عنها.

من كانون الثاني ١٩٧٦ وحتّى العام ١٩٧٨، كُلّف من وزارة الدفاع بإعادة تنظيم سلاح المدفعيّة.

بين عامي ١٩٧٨ و١٩٨٠، تابع دورة أركان الحرب العليا في باريس.
بعد عودته، في العام ١٩٨٠، فُصل إلى أركان الجيش للعديد، وشغل وظيفة رئيس المكتب التقني بالوكالة.

«إنّ الوجود خارج إطار الحرّيّة هو شكل من أشكال الموت»

في نهاية العام ١٩٨٠، فُصل ميشال عون إلى قطاع عين الرمانة بعبدا قائداً للقطاع، ولأفواج الدفاع المتمركزة على خطوط التماس التي كانت تفصل شرقي بيروت عن غربها. وخلال الاجتياح الإسرائيلي منعت تلك الأفواج الجيش الإسرائيلي من التقدّم باتجاه الضاحية الجنوبيّة.

في العام ١٩٨٣، كُلّف بتشكيل لواء يضمّ جميع الطوائف، فكان اللواء الثامن الذي تولّى قيادته.
وفي آب من العام نفسه، انتصر في معركة سوق الغرب، وأوقف الهجوم الذي كان يقوم به الجيش السوري وحلفاؤه باتجاه القصر الجمهوريّ ووزارة الدفاع.

في العام ١٩٨٤ واعترافاً ببطولاته، عُيّن ميشال عون قائداً للجيش اللبناني. وكان لحينه أصغر قائد للجيش.

«من مآسي الشعوب أن تُبتلى بحكّام لا يستطيعون سوى إدارة الهزيمة»

خلال صيف ١٩٨٨، بعد تعذّر إجراء الانتخابات الرئاسيّة بسبب الضغوطات السياسيّة وسلطة الوصاية السوريّة، وقبيل انتهاء ولايته بساعات قليلة، وقّع الرئيس أمين الجميل مرسومين، الأوّل يحمل الرقم ٥٣٨٧، عيّن بموجبه العماد ميشال عون رئيساً لمجلس الوزراء، مع الاحتفاظ برتبته العسكريّة، والثاني يحمل الرقم ٥٣٨٨ قضى بتشكيل حكومة من أعضاء المجلس العسكري في الجيش، وكانت مهمّتها الأساسيّة تأمين الانتخابات الرئاسيّة.
وفقاً للدستور، إنّ تشكيل هذه الحكومة ينهي دور حكومة الرئيس سليم الحصّ المستقيلة أصلاً، والمكلّفة تصريف الأعمال، إلا أنّ السوريين دعموها رافضين الاعتراف بالحكومة الشرعيّة.
في ٦ آذار من العام ١٩٨٩، قرّرت الحكومة إعادة إحياء الغرفة البحريّة بهدف تنظيم وضع المرافئ غير الشرعيّة التي فُتحت خلال الحرب، وكانت أحد مصادر التمويل للميليشيات والجيش السوري، ومسرباً لكلّ أنواع التهريب، من سلاح ومخدرات. فردّ السوريون بأن قصفوا مرفأ بيروت.

في ١٤ آذار من العام ١٩٨٩، اشتعل القصف العشوائي على الأحياء السكنيّة في «المنطقة الشرقيّة» موقعاً ٣٨ شهيداً و١٤٢ جريحاً، وأصابت القذائف مكتب العماد عون في وزارة الدفاع.
في ذلك اليوم، أعلن العماد ميشال عون «حرب التحرير»، وطلب من سوريا رسميّاً أن تسحب قوّاتها من لبنان.

«يستطيع العالم أن يسحقني ولكنّه لن يأخذ توقيعي»

في تشرين الأوّل من العام ١٩٨٩، استُدعي النوّاب اللبنانيّون إلى الطائف في المملكة العربيّة السعوديّة، ليناقشوا مسوّدة «لوثيقة وفاق وطني». طلب منهم العماد عون ألّا يلتزموا بأيّ شيء، ولا يوافقوا على أيّ إصلاحات دستوريّة، ما لم يُتخذ قرار جدّي وحازم بشأن انسحاب القوّات السوريّة من الأراضي اللبنانيّة.

«الشعوب التي تفتقر إلى الذاكرة الجماعيّة تكرّر أخطاءها»

في ٢٢ تشرين الأول من العام ١٩٨٩، وافق ٥٨ نائباً ممدّدين لأنفسهم أكثر من مرّة، على «اتفاق الطائف» باليد المرفوعة.
رفض العماد عون ما حصل معتبراً أنّ هذا الاتفاق يثبّت السيطرة السوريّة على لبنان، ولا يضعه أبداً على طريق السلام. وأبلغ النوّاب أنّه يدرس احتمال حلّ المجلس النيابي.

في ٤ تشرين الثاني من العام ١٩٨٩ وقّع العماد عون مرسوماً قضى بحلّ مجلس النوّاب. وتوجّه إلى اللبنانيين بالقول: «أنتم أصحاب القرار ولا يعود لغيركم أن يمثّلكم بعد اليوم»، بعد أن «أعطيناهم فرصة سلام فعادوا الينا بوثيقة استسلام».
في اليوم التالي، اجتمع النوّاب برعاية سوريّة وانتخبوا رينه معوّض رئيساً للجمهوريّة، وبعد اغتياله في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٩، عادوا وانتخبوا الياس الهراوي.

بعد ٣٠ كانون الثاني من العام ١٩٩٠، صار واضحاً دعم كلّ الدول الغربية لاتفاق الطائف، فأعلن العماد عون أنّه مستعد للقبول به ولكن ضمن البنود التالية:
رفع الحصار، الاعتراف برئاسة الياس الهراوي، استقالة حكومتي عون والحصّ بالتزامن، تشكيل حكومة وحدة وطنية تمثّل الجميع وتتمتّع بالمصداقيّة، حلّ الميليشيات، توحيد الجيش، الامتناع عن تعيين نوّاب جدد، انتخابات نيابيّة حرّة بإشراف دولي، إقرار الإصلاحات الدستوريّة. ولكن، هذه الصيغة رُفِضَت بمجملها.

آب ١٩٩٠: بعد الغزو العراقي للكويت، أرادت الولايات المتّحدة أن تضمّ سوريا إلى التحالف الدوليّ ضد بغداد، ومقابل ذلك منحتها إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش الضوء الأخضر لتكمل سيطرتها على ما تبقّى من لبنان.

«١٣ تشرين، خسارة دون ندم وذلّ الرابحين»

صبيحة ١٣ تشرين الأول من العام ١٩٨٩، بدأ الجيش السوري عمليّة عسكريّة لاجتياح المناطق الحرّة، مدعوماً بقصف عنيف نفّذه سلاح الجو.
لتجنّب حمّام دم، فاوض العماد عون لوقف إطلاق النار بواسطة السفير الفرنسي في لبنان آنذاك رينيه آلّا الذي طلب منه التّوجّه إلى السفارة لمعالجة بنود الاتفاق. ومع عدم الالتزام بما اتُّفق عليه واستمرار القصف الذي طال أيضاً مبنى السفارة، أبلغ السفير آلّا العماد عون أنّه صار تحت حماية الدولة الفرنسيّة، وأنّه لم يعد بإمكانه المغادرة والعودة إلى القصر الرئاسي.

٣٠ آب ١٩٩٠: غادر العماد عون لبنان إلى فرنسا ليبدأ رحلة المنفى التي استمرّت خمسة عشر عاماً.

«الفشل هو في عدم المحاولة وليس في عدم النجاح»

١٨ شباط ١٩٩٦، خلال مؤتمر للناشطين «العونيين» عُقد في قصر المؤتمرات في باريس، أعلن العماد عون عن تأسيس حركة مقاومة سلميّة ضد الاحتلال، وعُمّدت يومها باسم «التيّار الوطنيّ الحر».

أيلول ٢٠٠٣، قدّم شهادة في الكونغرس الأميركي دعماً لقانون «استعادة سيادة لبنان» الذي أقرّ في كانون الأول من العام نفسه بمجهود من ناشطين لبنانيين ينتمون إلى التيّار الوطني الحرّ. وقد فرض هذا القانون عقوبات على سوريا بسبب «دعمها للإرهاب واحتلالها للبنان».

«إذا فقدت العدالة شموليّتها أصبحت ثأراً»

٢١ تشرين الثاني ٢٠٠٤، عشيّة عيد الاستقلال، أرسل العماد عون رسالة رسميّة للأحزاب والفعاليّات اللبنانيّة وللدولة السوريّة للاشتراك في حوار سعياً للوصول إلى اتّفاق استباقي حول الانسحاب السوريّ من لبنان، يشكّل مخرجاً مشرّفاً للجميع. ولكن لم يتجاوب أحد مع هذه المبادرة.

١٤ شباط ٢٠٠٥، اغتيل الرئيس رفيق الحريري في بيروت، ما أشعل نار الغضب والثورة لدى اللبنانيّين، فنزلوا إلى الشوارع وانطلقت التظاهرات الضخمة تطالب بانسحاب الجيش السوري.

«تكون الحرّيّة في ذاتنا أو لا تكون»

٨ و ١٤ آذار ٢٠٠٥، تاريخان لتظاهرتين ضخمتين في وسط بيروت، جمعت كلّ منهما قرابة مليون ونصف مليون مواطن. تظاهرة ٨ آذار نظّمها حزب الله، وكان شعارها «شكراً سوريا». أمّا تظاهرة ١٤ آذار فطالبت برحيل القوّات السوريّة من لبنان.
المفارقة أنّ العماد عون كان الوحيد الذي حُرِم من إلقاء كلمته في تظاهرة ١٤ آذار، في الوقت الذي كان فيه التيّار الوطني الحرّ في أساس تنظيم التحرّكات الشعبية، ويشكّل الجزء الأكبر من المتظاهرين.

٢٧ نيسان ٢٠٠٥، انسحبت القوّات السوريّة من لبنان بعد ثلاثة عقود من احتلالها له.

٧ أيار ٢٠٠٥، عاد العماد ميشال عون إلى لبنان بعد خمسة عشر عاماً أمضاها منفيّاً في فرنسا.

«لا يُهزم إنسان إلّا من داخله»

حزيران ٢٠٠٥، ركّز التيّار الوطنيّ الحرّ جهوده على الانتخابات النيابيّة، وقدّم برنامجه الانتخابي الذي ارتكز على العلمنة، الإصلاح، التغيير، الشفافية، التحقيق المالي في ماليّة الدولة، الديمقراطيّة الحقيقيّة، محاربة الفساد، بسط سلطة الدولة على كامل أراضيها...

في ١٤ حزيران، وعلى الرغم من تحالف كلّ القوى السياسية الفاعلة ضدّه، انتُخب العماد ميشال عون نائباً عن كسروان، وحصدت اللوائح التي شكّلها مع مناصريه ٧٠٪ من أصوات المسيحيّين في كلّ لبنان. وأسّس تكتّلاً باسم «التغيير والإصلاح» حجز في البرلمان ٢١ مقعداً من أصل ١٢٨.

«انحطاط المجتمع يبدأ حين يسأل الإنسان نفسه ماذا سيحصل، بدلاً من أن يتساءل ماذا يمكنني أن أفعل»

٦ شباط ٢٠٠٦، وقّع وثيقة تفاهم ثنائيّة مع الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله. حملت عشرة بنود تتعلّق بشؤون محض لبنانيّة، ووضعت إطاراً سلميّاً لتنفيذ القرار ١٥٥٩ الصادر عن مجلس الأمن، خصوصاً في الجزء المتعلّق بسلاح حزب الله. ثمّ أطلق دعوة لتشكيل حكومة وحدة وطنيّة.

«حدود لبنان هي حدود الحرّيّة في هذا الشرق»

٣٠ آذار ٢٠٠٧، وجّه العماد عون رسالة إلى بان كي مون، الأمين العامّ للأمم المتّحدة في حينه، عرض فيها الأخطار التي تواجه لبنان، حيث تتمدّد الخلايا الإرهابيّة تحت أنظار الدولة.
شهران بعد تلك الرسالة، قامت مجموعة «فتح الإسلام» الإرهابيّة والمرتبطة بالقاعدة، بتصفية عشرين ضابطاً وجنديّاً من الجيش اللبناني، في محيط مخيم نهر البارد في الشمال. ما دفع الجيش للردّ بعمليّة عسكريّة، معلناً الحرب على الإرهاب.
قدّم العماد عون دعمه المطلق وغير المشروط للجيش، ودعا المجتمع الدولي لمساعدته، ليس بالتصاريح، إنّما بالتجهيز العسكري الملائم، ليتمكن من إكمال معركته. ولكن لم يستجب أحد.

١٩ تموز ٢٠٠٧، أطلق العماد عون محطة تلفزيونيّة OTV، وفُتح باب الاكتتاب فيها للبنانيّين، خلافا لغيرها من المحطّات التي يملكها حفنة من الأفراد. وكان شعارها برتقاليّاً، تماماً كشعار التيّار الوطنيّ الحرّ.

«السياسة في مفهومها الكبير هي التلاقي مع الحدث والتأثير فيه، وليس محاولة اللحاق به وتحمّل نتائجه»

١٣ تشرين الأول ٢٠٠٨، فاجأ العماد عون الجميع، مستبقاً إيّاهم بخياره الاستراتيجي، ولبّى دعوة لزيارة إيران، حين كانت لا تزال بعد من المحرّمات.

«نقاوم في موقع الضعف ونتسامح في موقع القوّة»

٣ كانون الأول ٢٠٠٨، استُقبل في سوريا استقبال رئيس دولة، والتقى الرئيس بشّار الأسد، مؤكّداً على ما سبق وقاله في محطّات عدة: « عندما تترك سوريا لبنان فيجب على البلدين أن يبنيا معاً أفضل العلاقات».

حزيران ٢٠٠٩، في الانتخابات النيابيّة الجديدة توسّع تكتّل التغيير والإصلاح وصار يضمّ ٢٧ نائباً، بينهم ١٩ نائباً ينتمون إلى حزب التيّار الوطني الحرّ.

خلال العام ٢٠١٣، طالب العماد عون بإقرار قانون جديد للانتخابات النيابيّة يقوم على مبدأ النسبيّة، لأنّ القانون السائد والمعروف بقانون الستّين، وضعه غازي كنعان على قياس حلفائه آنذاك، بحيث وزّعت الدوائر في المناطق المختلطة بشكل يتلاعب بأرجحيّات الناخبين؛ فأصبح الصوت غير المسيحي هو الذي يقرّر نتائج انتخابات النوّاب المسيحيّين فيها.

«وحده عناد الحقّ يضع حدّاً لوقاحة الكذب»

حزيران ٢٠١٣، عارض العماد عون وكتلته النيابيّة التمديد الذي أقرّه المجلس النيابي لنفسه حتّى أيلول من العام ٢٠١٤، حيث عاد النوّاب ومدّدوا ولايتهم من جديد حتّى أيّار من العام ٢٠١٧.

بعد ٢٥ آيار ٢٠١٤، انتهت ولاية ميشال سليمان ولم تحصل انتخابات رئاسيّة، فصار لبنان بلا رئيس.
وبرز موقفان متناقضان، الأول يقضي بانتخاب رئيس توافقي لا يتمتّع بأي دعم شعبي أو نيابي، والثاني يريد رئيساً قويّاً مدعوماً من كتلة نيابية وازنة، لتكون له كلمته في القرارات الهامّة التي تتعلّق بالبلد. سيّما وأنّ هذا المنطق يسري على مقامَي رئاسة الحكومة والمجلس النيابي.
موقف العماد عون كان واضحاً جداً: «زمن الإتيان برئيس ضعيف للبنان، والذي كان سائداً منذ العام ١٩٨٢، قد ولّى وانتهى إلى غير رجعة.»
ولأجل ذلك، كانت هناك ضرورة للجمع بين الأطراف المتناقضة من المسيحيّين والمسلمين، وتكوين شبه إجماع لدى القوى الأساسيّة، لتأمين الأكثرية في المجلس النيابي. مهمّة كانت تبدو شبه مستحيلة، ولكنّها أنجزت...

٣١ تشرين الأول ٢٠١٦، أصبح العماد ميشال عون الرئيس الثالث عشر للجمهوريّة اللبنانيّة بعد سنتين ونصف السنة من الفراغ.

رؤيّة وتوقّعات

قال وكتب وتوقّع...
وترك لنا أن نفهم ونفسّر!
رسائل شواهد

الرسالة التي وجّهها رئيس الحكومة اللبنانيّة العماد ميشال عون إلى رئيس جمهوريّة فرنسا فرنسوا ميتران

بعبدا في ٢٩ تشرين الأول ١٩٨٩

فخامة الرئيس،

كلّنا ورثة شيء ما، بطريقة أو بأخرى، وأنتم تعلمون مثلي، إن لم يكن أفضل منّي، ما هي الروابط التي تَمكّن شعبانا من نسجها عبر التاريخ. ولكن، وفي الوقت نفسه، نحن أيضاً مسؤولون، مسؤولون عن أعمالنا وعن التزاماتنا، وإلّا ما جدوى وجودنا؟

لقد ولدت وترعرعت في بلدة في الضاحية الجنوبيّة لبيروت، وكان العديد من زملائي في المدرسة من المسلمين، وكنت مسيحيّاً. في المناسبات الهامّة كالأفراح والأتراح، كنّا نجتمع ونتردّد معاً، بقلب واحد، إلى الكنيسة وإلى المسجد، وهذا الإرث من التعدّديّة الطائفيّة هو بالضبط ما يريدون إلغاءه في لبنان. فمن أجل هذا الإرث، ومن أجل أن يستمرّ، أقاتل اليوم. وأيّ خسارة هنا الآن لن تكون من دون انعكاسات عليكم في الغد.

لقد قرأت الأسبوع الماضي أنّ ثلاث نسوة يرتدين التشادور، أحدثن بلبلةً في فرنسا؛ وأعتقد أنّ المواجهة بين الغرب والإسلامويّين المتطرفين ستكون بدون شكّ إحدى أهمّ المسائل عند نهاية هذا القرن. فهل سيكون هناك حوار أم لا؟

إنّ القبول بزوال لبنان يعني التخلّي عن أرض لطالما كان فيها هذا الحوار أكثر من واقع يوميّ معاش. كان ثقافة جوهريّة وأسلوب حياة لطالما ميّزنا عن باقي العالم.

إنّ التاريخ سيحاسبنا يوماً على أعمالنا، وقلّة هم الرجال الذين يمكنني أن أتوجّه إليهم اليوم، وأن أخاطبهم، وأكون مسموعاً منهم.

أنت هو الرجل الوحيد القادر على ذلك، لأنّك فرنسي، لأنّك رجل ثقافة وتاريخ، ولأنّك تسعى إلى تحقيق مصالح فرنسا، هذه المصالح التي تتخطّى حدود بلادكم.

إنّني أعاني اليوم من أزمة ضمير حقيقيّة؛ لقد وصلني أنّ الدبلوماسيّة الفرنسيّة، مثلها مثل باقي دبلوماسيّات الدول الكبرى، مع التطبيق السريع لاتفاق الطائف، ولا شكّ أنّكم قد اطّلعتم على أهمّ ما جاء في هذا الاتفاق.

لقد أعلنتُ صراحة أنّه ليس لديّ أيّ اعتراض على مخطّطات الإصلاح السياسيّ الواردة فيه، ولكن في المقابل ينتابني القلق الشديد عندما أقرأ النصوص الكاملة والصيغ التي تهدف إلى إعادة الاستقلال للبنان وإنهاء الاحتلالات الأجنبيّة، وتحديد العلاقات المستقبليّة مع سوريا.

أتراه، وبصراحة، يحقّ لي، وبعد سنوات من الانتظار والتضحيّات، القبول بنصوص تكرّس دور سوريا، وتجعل كلّ السلطات تحت سيطرتها، وتبرّر، وللمرّة الأولى، من خلال النصوص، وجودها وأعمالها، مقابل جدول زمني غامض للانسحاب فحسب، والتزامات ملتبسة؟

أليس من العدل والمشروعيّة والضرورة، أن تُعطى لهذا الاتفاق ضمانات دوليّة وتوضيحات علنيّة؟

إنّ سوريا اليوم قادرة على تفسير هذا النصّ كما تشاء، أمّا اللبنانيّون فهم عُزّل تماماً أمامها. ويطلبون منّي إبداء بعض التفهّم، إلا أنّ التفهّم في إطار كهذا يعني التخلي عن القضيّة.

لا أريد أن أضطر إلى اتخاذ خطوات لا يمكن الرجوع عنها، فالمخاطرة بعودة المواجهة العسكريّة، والتسبّب مجدّداً بعذاب الناس في المناطق الغربيّة والشرقيّة، مسؤولية جسيمة تُلقى على كاهل المسؤول الذي يمسك بمقدّرات الحكم.

تعرفون الظروف التي تمّ فيها الاجتماع في الطائف، والضغوطات التي مورست؛ فالنوّاب الموجودون هناك فقدوا صفتهم التمثيلية، إذ منذ العام ١٩٧٢ لم تحصل أيّ انتخابات ولا أيّ استفتاء شعبي، وبالتالي كلّ لبناني دون الأربعين من عمره لم يشارك بانتخابهم. فهل

هؤلاء النواب قادرون حقاً على تقرير مصير لبنان؟
لقد أعلمني بعض المشترعين أنّني قادر منذ الآن على حلّ المجلس النيابي، وتدبير كهذا من شأنه أن يقطع دابر المناورات الجارية ضدّ السيادة الوطنيّة اللبنانيّة، وبعضهم نصحني بدعوة مجلس الأمن الدوليّ للانعقاد بصورة عاجلة، فهو الهيئة القادرة على إعطاء التفسيرات والإيضاحات التي نحن بحاجة إليها اليوم.
إنّ الوضع الحرج يدفعني إلى التحرّك بسرعة، وسأطلب من مجلس الأمن الانعقاد منذ صباح اليوم، ولكنّ المسألة في العمق هي مسألة دوليّة وليست فقط مسألة إجراءات، هي مصير شعب واحترام للمبادئ أكثر مما هي نزاعٌ على حدود.
إنّ لبنان هو أكثر من بلد، إنّه فكر، ولهذا السبب أتوجّه إليكم، فإلى من سواكم يمكنني التوجّه في مثل هذه الظروف؟

مقتطفات من مقابلة للعماد عون مع الصحافي بشارة شربل في صحيفة الحياة بتاريخ ١٠ آذار ١٩٩٤، العدد ١١٣٤٦

كيف تنظر إلى تنامي الحركات الأصوليّة في المنطقة؟

– خطر وسيئ كثيراً على المنطقة وعلى الأصوليّين أنفسهم. الحركة الأصوَليّة هي ردّة رجعيّة تعود إلى القرون الأولى لمراحل التطوّر الإنساني. تفتّش عن الحلول في الماضي، في حين أنّ الحلول ليست حتّى في الحاضر بل في المستقبل. في الحاضر هناك مشاكل وحلّها يكون بالنظر إلى المستقبل وليس إلى الوراء. كلّ من يفتّش عن حلّ في الماضي هو على خطأ حكماً. من هنا أقول إنّ أكبر خطر على الإسلام هم الأصوليّون.

لو توضّح لنا قليلاً..

– هناك بعض الأفكار المنسوبة إلى الدين في حين أنّها تعارض الدين، والدين ينقضها. فالأصوليّون يتقيّدون بشكليّات فصّلوها على ذوقهم، وتناقض جوهر الدين والاجتهادات المعروفة في الإسلام، ويستغلّونها لغايات سياسيّة. ويريدون أن يفتوا كما يشاؤون وكما يرتأون، تبعاً لنظرتهم الضيقة. إضافة إلى ذلك يريدون تنفيذ أحكام. وأرى مشكلة الأصوليّين الحقيقيّة هي قبل كلّ شيء مع الإسلام الرافض للتحجّر.

إنّ أخطر ما يمارسه الأصوليّون هو القطيعة عن المجتمع. فالمجتمعات الإنسانيّة الحديثة تقبل التعدديّة داخلها، وتقبل حقّ التمايز مع الغير. هم يرفضون حقّ التمايز للغير، ويرفضون الغير في المطلق.

لا يقولون إنّهم يرفضون الغير..

– يتصرّفون على أساس رفض الآخرين، ليس المهمّ ما تقول، المهمّ النصّ الذي صاغوه هم واستندوا إليه. نصوصهم بعيدة عن الدين وهي سياسيّة وترفض الغير. وحين يقبلون الغير بحقوق ناقصة فهذا يعني رفضاً للآخرين. وباختصار ووضوح «إنّني أرفض الذمّية».

إنّني أقول الحقيقة في وقتها، وهذا أفضل بكثير من أن تقال متأخرة فلا يعود لها قيمة.

ما توقّعك لمستقبل الأصوليّة؟

– ستصل إلى الحكم حتماً في الدول الإسلاميّة، وستسقط بعد وصولها. وبعدها ستحصل إعادة نظر من قلب الإسلام.

كتاب مفتوح من العماد ميشال عون إلى حكّام العالم بمناسبة ذكرى الاستقلال.

«لا هوت ميزون»، **٢١ تشرين الثاني ١٩٩٥**

أيّها السادة،

في الوقت الذي يُجمع فيه العالم على إدانة اغتيال السيد إسحق رابين، ويؤكّد الحاجة الملحّة لمتابعة بناء السلام في الشرق الأوسط، أسمح لنفسي أن ألفت انتباهكم إلى جريمة يجب أن تستصرخ جميع الضمائر. تلك الجريمة تُرتكب بحقّ لبنان، وهو اليوم يحتضر، فلا تدعوه يموت.

بالأمس القريب رأينا مشهداً مؤسفاً لبلد شوّهه الاحتلال وحوّله بؤرة للأصوليّة العمياء، عدوّة السلام.
لبنان، أرض الحرّيّة في هذا الشرق، أصبح منذ إقرار ما سمّي « اتفاق الطائف» يبتعد عن ذاته وعن مقوّمات وجوده. فهذا الاتّفاق، بما يخفي من خلل في المؤسّسات، وبما يشكل من غطاء للاحتلال وتشويه للهويّة اللبنانيّة، هو كارثة بحقّ لبنان الذي أضحى مقيّداً، مكموم الفم، ومهمّشاً في العالم.

هل يجب أن نذكّر بأنّ دبلوماسيات العالم كلّه، وبصوت واحد، هلّلت لهذا «الاتفاق» واعتبرته الحلّ الوحيد للأزمة، كما اعتبرت معارضته مرادفة للتمرّد والجنون القاتل، وأيّ محاولة تغيير طفيف فيه كانت بمثابة إعلان حرب؟»
إنّ اللبنانيّين، وقد مُنع عليهم إبداء الرأي في وثيقة تربط مصيرهم على نحو نهائي، لم يبق لهم من خيار سوى الرضوخ لهذا الأمر المفروض. ولتنفيذ هذه الوثيقة، قام بعض الدبلوماسيّين، النافذين، بالتحريض

على المؤامرة؛ وأُزيحت الحكومة الشرعيّة بالقوّة، وسُحق الشعب، ففُرِض الطائف. ولتمويه هذه الجريمة بدأ الكلام عن الإعمار والإصلاح والسلام.

الدافع لكلّ ما حصل لم يكن حقّ الشعب اللبناني في تقرير مصيره، بل إرادة دولية خبيثة هدفها إنقاذ الوضع الإقليمي، بتجميد أيّ حلّ في لبنان الى حين تسويّة النزاع العربي – الإسرائيلي، حتّى وإن أتت تلك التسوية على حساب لبنان.

واليوم، وبعد مرور ست سنوات على الجريمة، يحقّ للبنانيّين أن يسألوا، أين هو السلام الموعود؟ حتى أولئك الذين ارتضوا مبدأ «السلام بأيّ ثمن»، هذا السلام الذي رفضه كلّ من تشرشل وديغول ومافيل ومانديلا، يضمّون اليوم صوتهم الى الأصوات التي حذّرت منه وشككت به، ويتساءلون: ماذا تحقّق من استرداد السيادة عبر الوسائل الدبلوماسيّة؟

يعترف المراقبون الدوليّون بالإجماع أنّ لبنان بات مستعمرة سوريّة. قوّضت مؤسّساته، واقتصر عملها اليوميّ على تذويب كلّ شكل من أشكال استقلاله. وما سمّي انتخابات تشريعيّة في العام ١٩٩٢، والطريقة التي اتّبعت أخيراً لتمديد الولاية الرئاسيّة، تناقض مبدأ السيادة والديمقراطيّة في لبنان.

ليست التقارير الأخيرة لمنظّمات دوليّة للدفاع عن حقوق الإنسان (منظّمة العفو الدوليّة، منظمة الرقابة للشرق الأوسط) سوى براهين إضافية على الجرائم المرتكبة بحقّ اللبنانيين الذين يساقون إلى السجون لكونهم تجرّأوا، على التعبير عن آرائهم، أو المطالبة بحقوقهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة بالطرق السلميّة.
مع الأسف، الإعمار الذي يحاولون تسويقه للرأي العام العالمي اليوم،

قد أوصل البلاد إلى شفير الهاوية. فالأشغال التي بوشرت لا تتناسب إطلاقاً مع الحاجات الحقيقية للبلاد ومع الأولويات فيها، بل تزجّها في دوّامة تضخّم اقتصادي لا سابق لها في التاريخ.
وحده المواطن، الذي رأى قدرته الشرائية تتدنّى يوماً بعد يوم، يتحمّل الأعباء الثقيلة المترتّبة عن هذا «الإعمار» الذي لا يأتي بالفائدة إلا للبعض، وينذر بزوال طبقة وسطى سبق أن كانت الخزّان الاستراتيجي للأمّة اللبنانيّة. لقد باتَ اللبنانيّون اليوم ضحايا هذا «السلام» المفروض، بعد أن كانوا ضحايا حرب الآخرين بالأمس.

من ثمارهم تعرفونهم: تبعيّة في الدولة، فقر اقتصادي وانشطار اجتماعي، تلك هي ثمار هذا «السلام». وهل يصعب الإقرار بأنّه خارج إطار الحرّيّة لا مجال للازدهار أو الإعمار، والسلام ليس ممكناً؟
مسؤوليّة الوضع القائم تقع على عاتق كلّ من هم في السلطة اليوم؛ سيسألهم يوماً جيلٌ رأى مستقبله مصادراً، جيلٌ يلومهم، إن لم يكن لقلّة شجاعتهم في المواجهة، فلأنّهم شكّلوا غطاءً للمحتل.
سيحاكمون لتزويرهم التاريخ، ولأنّهم يستمرّون في تغطية الحرب المبطّنة على لبنان وتصويرها «إعماراً».

ألم يعرّضوا وجود وطنهم للخطر، وكذلك هويّته، بتجنيس عشوائي لمئات الألوف من الغرباء، غير مكترثين بالتوازن الديمغرافي الدقيق الذي يميّز لبنان؟ وهل سيمكن بعد معالجة هذه الخلل؟

ليست هذه ساعة تصفية الحسابات، وليست روح الانتقام التي تدفعني إلى قول هذا الكلام، إنّما الاقتناع العميق بأن خلاص لبنان لن يكون إلّا عندما يحترم المسؤولون فيه المبادئ التأسيسيّة التي قام عليها، ويتمسّكون بما هو حقّ له ضمن شرعة كان أحد الموقّعين عليها.
علينا أن لا نخطئ؛ فإنّ ما يعانيه لبنان هو الاحتلال، والعلاج الشافي والوحيد له هو الذي يعتمد بشكل دقيق وواضح جلاء جميع القوى الغريبة عن أراضيه.

هناك خلافات داخليّة بالطبع، وهذه يعود على اللبنانيين أنفسهم معالجتها، بواسطة انتخابات حرّة كفيلة بإرساء الأسس الشرعيّة لميثاق وطني جديد. وخلاف ذلك لن تستقيم الأمور، فالتاريخ يخبرنا أنّ أيّ إصلاح في ظلّ الاحتلال لا يخدم إلاّ الاحتلال.

أيّها السادة،
العالم يعرف، ولم يعد سرّاً على أحد أنّ لبنان، أرضاً وشعباً، قُدِّم إلى سوريا عشيّة حرب الخليج مقابل اشتراكها في التحالف ضدّ العراق.
كذلك لا أحد يجهل أنّ لبنان قد يكون الثمن للتطبيع بين إسرائيل وجيرانها العرب.
إذ في الوقت الذي هلّل العالم لتطبيق القانون الدولي في الكويت، جرى دفنه في لبنان.
فهل في تقاسم فتاته نخدم الحق؟
وهل تكون العدالة الاستنسابية شعاراً لنهاية القرن العشرين؟

إنّ التضحية بلبنان ستكون من أفظع النتائج لسياسة «الأمر الواقع»؛ فهل نضحّي به مقابل حلّ المشاكل التي تعترض مفاوضات السلام في الشرق الأوسط، وأعني مشكلة اللاجئين الفلسطينيّين ومشكلة الجولان المحتلّ ومشكلة اقتسام الثروات المائية؟

هذا هو الخطر الذي يواجهه وطني، فهو عاجز عن إسماع صوته والدفاع عن حقّه الأساسي في تقرير مصيره. فعلى الرغم من حضوره المفاوضات، فهو يبقى في الحقيقة مغيّباً عنها، خاضعاً لنفوذ سوريا، فاقداً كلّ مجال في المناورة، وعاجزاً عن الإجابة على العروض الإسرائيليّة بالانسحاب.
في الوقت الذي يدخل فيه الشرق الأوسط عصر السلام، نرى لبنان المقيّد محكوماً عليه بالانتظار في غياهب التاريخ، ممنوعاً من تقرير مصيره.

أيّها السادة،
إليكم أتوجّه، أنتم ضامنو الحقّ الدولي، لإيقاف هذا الجرم.
إنّ مبرّر وجود لبنان في بداية القرن الحادي والعشرين، هو الحاجة إلى أمن عالم بات فريسةً لتعصّبٍ من كلّ نوع، وليس اغتيال السيد رابين سوى برهان على ذلك.

إنّ الأحداث الأخيرة في البوسنة والجزائر، وبنسبة أقلّ في باريس، ليست سوى إشارات تنذر بصراعات مهدّدة لغدنا، تعجز عن تداركها الروادع النووية والحروب التقليديّة؛ فالأصوليّة، وليدة انعدام التوازن في تطبيق الحقّ الدولي، والحرمان الناتج عن نمو غير متكافئ، قد تُغرق حضارة بكاملها في الظلاميّة. وثقوا أن لا أحد بمنأى عن العنف الذي يولّده انفجار المشاعر العرقيّة والأصوليّة، والذي تعجز أي حدود عن احتوائه.
ألا يمكن لهذه الجرائم، التي تغذّت في مختبرات الواقعيّة السياسية، أن تنتقل لتصيب المتفرّجين عليها بلامبالاة اليوم، أو حتّى أولئك المشاركين في زرعها والذين تركوها تنمو؟

إنّ السلام والأمن في العالم يتأثّران، أكثر من أيّ وقت مضى، بالعدالة، وينطلقان من قدرة سياسيّة دوليّة تُطبّق الحقّ بأفعالها، وتنشر التسامح والحوار بأفكارها.
لقد كان السيّد كيسنجر محقاً عندما ذكر بالأمس بأن على شعوب الشرق الأوسط أن تتعلّم قواعد التعايش.
لكن، أوليس لبنان بفكرته ودوره، المثل الحيّ على التعايش؟
من هنا، بات إنقاذه ضرورة ملحّة.

المحاضرة التي ألقاها
العماد ميشال عون
في فرساي
٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٢
حوار أم مواجهة بين الحضارات ؟

سيّداتي، آنساتي، سادتي،

أمام هول الكارثة التي أصابت نيويورك وواشنطن في ١١ أيلول من العام ٢٠٠١، وقف العالم مذهولاً ومتأثّراً. وكسائر الناس، شعرت بالأسى والتعاطف، سيّما وأنّني كنت رئيس حكومة، ومسؤولاً سابقاً حكم لبنان، البلد الذي يشكّل الضحيّة الأولى للإرهاب والتطرّف.

لذلك، أشعر أنّني معنيّ كليّاً بالصراع الذي يقوده حاليّاً العالم الحرّ، ضدّ كلّ أنواع الظلاميّة، من أجل تعزيز مجتمع يقوم على التسامح والاعتدال.
من هنا وجودي معكم هذه الليلة، لأشارككم تجربتي الخاصّة.

موضوع نقاشنا اليوم هو «حوار أم مواجهة بين الحضارات؟»
وأمام هكذا موضوع لا يمكنني أن أقف بلامبالاة وقلّة اكتراث، ذلك أنّ لبنان قد عرف وعاش هذا الحوار، ولكنّه أيضاً شهد واختبر، تلك المواجهة التي فُرضت عليه.

لقد كنت، وكما تعرفون، قائداً للجيش اللبناني ورئيساً للحكومة اللبنانيّة، وذلك قبل أن تنجح قوى الاحتلال السوريّة باجتياح آخر منطقة حرّة في لبنان.

وإذا كنت أقوم بهذا التذكير البسيط، فلأوضح لكم كم تنقّلت طوال حياتي العسكريّة والسياسيّة، وجبت كافّة المناطق اللبنانيّة، والتقيت

مختلف الزعامات الداخليّة والإقليميّة والدوليّة التي كان لها دورها في حرب لبنان. ومن المفيد استذكار ذلك من أجل تكوين صورة واضحة عن تناقضات وصراعات الشرق الأوسط.
لقد مررت بمختلف المراحل؛ فمن مراقب عادي للأحداث إلى فاعل فيها، ثمّ إلى مقرّر، وهذا الطريق الطويل كان غنيّاً باكتساب الخبرات.

إنّ فهم وضعيّة ما، وتحديد المخاطر، يقتضي أولاً الابتعاد عن دائرة الحدث، وإخراجه من إطاره الإعلامي، وفهم الآليّة السياسيّة، لا بل التلاعب السياسيّ الذي يحرّكه.

أقول هذا، سيّما ونحن نعيش في مجتمع يطغى فيه الإعلام يوماً بعد يوم؛ فالصورة الفوريّة، والبحث عن الإثارة، تغلّبا على الفكر والتحليل اللذين يفترضان الابتعاد عن الحدث مسافة كافية، للتمكّن من رؤيته بوضوح ونقده، ومعرفةً عميقة للظرف التاريخي والثقافي والاقتصادي.

لذلك، أنا من الذين يعتقدون أنّ مأساة ١١ أيلول المؤلمة لم تخلق مشاكل جديدة، فهذه المشاكل الفعليّة كانت موجودة دائماً. وما حصل هو أنّ هذا التاريخ قد حرّك وعياً عند البعض، بخاصّة عند أولئك القلقين على أمنهم اليوم، والمعنيّين بسياسات الدفاع القوميّة، فالتفتوا نحو هذه المشاكل.

ولكن، أليس من الأفضل، لا بل من الضروري، أن نستفيد اليوم من هذه الفرصة كي نفهم أهمّ ما فيها بكلّ عمقه وبكلّ أبعاده، وأن ندرك المشاكل ذات الطبيعة الثقافيّة والفلسفيّة والحضاريّة؟
في الواقع، وخلال الثمانينيّات، وبعد ملاحظتي الانحراف في الفكر الأصولي الإسلاموي التكفيري، وأقول الإسلاموي وليس المسلم، المصمّم على الإعلان عن هويته المتطرّفة، وبعد وصول أصداء حدث بسيط ولكنّه أثار الكثير من الجدل في فرنسا، وهو عن حجاب ارتدته

إحدى الطالبات، وفيما كنت في خضمّ حربِ تحرير ضدّ الجيش السوريّ وكلّ الذين زرعوا الإرهاب في لبنان، وجّهتُ رسالة إلى الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران.

بعدها بسنوات، وبعد مراقبتي لتطوّر الإرهاب في العالم، بالإضافة إلى الوضع في لبنان، والقلق الجدّي من الخطر الذي يتهدّد الإنسانيّة جمعاء بسبب سياسة اللامبالاة والتجاهل التي تمارسها الدول الكبرى والمؤسّسات الدوليّة تجاه تنامي قدرات التطرّف والأصوليّة، وجّهتُ كتاباً آخر إلى حكّام العالم في ٢١ تشرين الثاني من العام ١٩٩٥، وفي الرسالتين حذّرتهم من خسارة لبنان لأنّه يشكل أرض لقاء وحوار بين مختلف الديانات.

واليوم، وبعد مرور اثني عشر عاماً على الرسالة التي وجّهتها إلى الرئيس ميتران، وسبع سنوات على تلك التي وجّهتها إلى حكّام العالم، أجد ضروريّاً إجراء تقييم للوضع، وللأسف هو مثقل بالدماء وبالحروب، وبالجرائم ضدّ الإنسانيّة.

إذاً، سيّداتي، سادتي، هل هو حوار أم هي مواجهة؟

برأيي، إنّها مواجهة، ونحن في خضمّها الآن،
إنّ ظهور الإرهاب «الإسلاموي التكفيري»، وتواجهه مع الحضارات، وليس فقط مع المسيحيّة بل أيضاً مع الهندوسيّة والبوذيّة واليهوديّة، وحتّى مع الحضارة الإسلاميّة نفسها، كما يحصل في الجزائر وفي مصر، هما نتيجة فشل الحوار بين هذه الحضارات.

وإذا كانت العمليّة العسكريّة التي تُقاد حاليّاً ضدّ شبكات الإرهاب وضدّ الدول التي ترعاها، تشكل شرطاً ضروريّاً لشلّ قدرة هذه المجموعات على إلحاق الأذى، فإنّها ليست كافية لنزع الإرهاب والقضاء عليه نهائيّاً.

إذ بعد القضاء على فسحة الأمان، وعلى التمويل والحماية التي يؤمّنها البعض لهذه المجموعات، يجب أن تمتدّ العمليّة لتشمل جذور هذا الشرّ، أي الأنظمة التي تولّد، في تكوينها، الإرهاب، والتي لن تتوقّف عن التكاثر للتعويض عن الجزء الذي فقدته.

لقد آن الأوان لنخرج من السياسة «المسالمة»، ولنسمّي الأشياء بأسمائها؛ لقد آن الأوان لنخرج من السياسة «الواقعيّة»، ونحدّد بوضوح، وندين بصلابة، صانعي الإرهاب. لقد آن الأوان لتجييش كلّ قوانا لإقامة أنظمة ديمقراطيّة تطبّق القانون، هذه الأنظمة وحدها، تشكّل حصناً ضدّ انتشار الإرهاب، ووحدها توقف، بطبيعتها وجوهرها، الطموحات التوتاليتاريّة للأنظمة الدينيّة والمجموعات المتطرفّة.

لقد أصبح ملحّاً أكثر من أيّ وقت أن نخرج من هذا الخبث. وهل يجب التذكير بأنّ التطرّف الإسلاموي اعتمد على دعم الغرب وتعاطفه في صراعه مع الشيوعيّة؟ وهكذا، وبإساءة إلى الديمقراطيّة، تركت الدول الكبرى بلاداً وشعوباً كاملة فريسة للاستبداد وللأوتوقراطيّة التيوقراطيّة، الأكثر ظلاميّة.

ولم تكن أفغانستان لفترة خلت، إلّا النموذج الأكثر حدّة لذلك.
وهناك أيضاً بلدان أخرى ضُحّي بها عل مذبح المصالح الاقتصاديّة أو الجغرافيّة-السياسيّة، وهذا هو وضع لبنان الذي سُلّم إلى سوريا مقابل مشاركتها في التحالف ضدّ العراق.

إذاً، بعد هذه المواجهة التي فرضتها الأحداث، حان وقت الحوار، لكن هل هذا الحوار هو ممكن؟ وبين من ومن؟ أبين الأمم أم بين الأديان؟ بين الحضارات أم بين البشر؟

وقبل الإجابة، يفترض تحديد كلمة حوار:
إنّ إقامة حوار تعني قبل كلّ شيء القبول بالآخر، وقبول حقّه بالاختلاف. والحوار يتنافى مع الأفكار المسبقة، إنّه تحرّك هدفه الوصول إلى حقيقة وإلى حلّ، وهو يفترض أيضاً تحمّل مسؤولية النتائج، وتعهّد كافّة الأفرقاء باحترام النتيجة. والحوار يفترض فلسفة إيجابيّة وبنّاءة، أمّا غير ذلك فلن يكون سوى إطلاق نظريّات وحوار طرشان.

إنّ الحوار يستقي جذوره من حرّيّة الضمير، هذه الحرّيّة التي تفتقدها كلّ المجتمعات المولّدة للإرهاب. وأحد شروط نجاح هذا الحوار يمرّ حكماً بالتزام كافّة البلدان بالمادّة الثامنة عشرة من شرعة حقوق الإنسان وقد جاء فيها: «لكلّ شخص الحقّ في حرّيّة الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحقّ حرّيّته في تغيير دينه أو معتقده، وحرّيّته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبّد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، أمام الملأ أو على حدة.»

وأشير هنا إلى أن لبنان، هو البلد الوحيد في الجامعة العربيّة الذي التزم هذه المادّة بشكل تام.

إنّ كلّ نظام قمعي، أو ذلك الذي ينتحل صفة الديمقراطيّة ولا ينسجم مع هذه الشرعة، يكون خاضعاً للفكر الواحد الذي يناقض حرّيّة المعتقد، ويعيق التطور الطبيعي للمجتمع، ويمنع قدرته على الانفتاح والحوار مع الآخر.

وفي حال لم يتمّ التوصّل إلى إرساء هذا الحوار لعدم توفّر الإرادة السياسيّة والجدّيّة من الجهتين، فإنّ التعايش في العالم يمكن أن يُختزل إلى مجرّد توازن قوى، وبالتالي إلى مواجهة دائمة. ولن يكون هناك للأسف إطار الانسجام اللازم لتطوّر الجنس البشريّ.

سيّداتي، آنساتي، سادتي،

إنّ إعادة نظر شاملة تبدو عندها ضرورية، وستورّط جميع اللاعبين: الغرب، البلدان الإسلاميّة، ودولاً في طور النمو....، وستشمل كلّ الميادين: السياسيّة والثقافيّة والاقتصاديّة.
وإذا كان هناك من شرط مسبق للحوار، فهو شرط على الغرب أن يفرضه، ويرتبط باحترام مبادئ الديمقراطيّة؛ تلك المبادئ التي يفخر الغربيّون برفع رايتها في بلادهم، ولكنّهم غالباً ما يضحّون بها في البلاد الأخرى، تبعاً لارتباطات سياسيّة واقتصاديّة بحتة.

إنّ الغرب قادر، لا بل من واجبه، أن يحتوي النزعة «الإسلامويّة السياسيّة التكفيريّة» لا بل أن يوقفها، وذلك من خلال اعتماده سياسة إنماء اقتصادي للدول الفقيرة. إضافة إلى اعتماده سياسة مبنيّة على قدر أكبر من العدالة واحترام الحقوق في معالجات الصراعات.

وأخيراً، وهو الأهم، من خلال دعمه للديمقراطيّات التي تشكّل الحصن المنيع في وجه الظلاميّة «التكفيريّة».
واليوم أكثر من أي وقت مضى، يرتبط أمن الكرة الأرضيّة باحترام كلّي للقانون الدولي. وفي عصر العولمة الاقتصاديّة، ومعالجة انعكاساتها، يجب أن يُعنى بشكل خاص ببرامج «مساعدة على النمو» للدول الفقيرة بهدف تجنّب عزلها، فالعزل يجعلها فريسة سهلة للسقوط في أوهام أيديولوجيّات القتل والفتك.
وإذا كان للغرب واجب تجاه الدول والمجتمعات الأخرى، فإنّ لهذه الدول أيضاً واجب بذل مجهود ضروريّ للتأقلم مع المعطيات السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة الحديثة.

يتوجّب هنا، على زعماء الدول الإسلاميّة أن يقوموا بدورهم في هذا الصراع، ويساهموا بتحوّل مجتمعاتهم نحو مزيد من الانسجام

مع الشرعة الدوليّة، ومزيد من احترام حرّيّة المعتقد التي يستحيل من دونها تطوّر المجتمع والاندماج بين الشعب. إنّه حتماً فعل شجاعة وإرادة سياسيّة، ولكنّه يجب أن لا يُختصر بموقف نظريّ أو مبدئيّ، بل عليه أن يُترجم بأفعال كي يدخل في السلوك الاجتماعيّ.

لقد عرفت الديانات كيف تواكب تطوّر المجتمع بدون أن تتخطّاه، فنظرة المسيحيّة، كما اليهوديّة والبوذيّة، للحياة العامّة أو للإنسان لم تعد هي نفسها كما كانت في القرون الوسطى.
والإسلام أيضاً مدعو ليجد توازنه مع المجتمع المعاصر، وعلى المسلمين وحدهم، مع بقائهم أوفياء للمقدّسات، تقع مسؤوليّة حمل التفسير الصحيح للقرآن، ذلك التفسير المسالم والإنساني، في مقابل تفسير العنف والقتل الذي يحمله ويستغلّه «الإسلامويّون التكفيريّون».

ولتوضيح أهميّة هذا التضارب في التفسير، فلنأخذ مثلاً عن مفهوم الجهاد الذي يمكن تفسيره في الوقت نفسه كقوّة دفاع عن النفس ضدّ الشرّ، وهي موجودة في ضمير كلّ شخص، أو كحرب مفتوحة تسمح بالعنف ضدّ الديانات والمجتمعات الأخرى.
ولنأخذ مثلاً آخر من الدين الإسلامي، ومن «الحديث الشريف»، حيث يدعو النبي محمّد الصحابة لقيادة المجتمع بطريقة الشورى بين الرجال، وهذا ما يمكن تفسيره، ومن خلال الشرع، بالدعوة إلى الديمقراطيّة.

أخيراً، يجب أن يكون وضع الفرد محدّداً بوضوح، ومتزامناً مع طموحاته وتطوّره في مجتمع اليوم، لذلك يجب البدء بإلغاء كلّ أنواع العنصريّة الجنسيّة والدينيّة ضدّه. وهذا يمرّ حتماً بحماية المرأة وحماية حقوقها الأساسيّة.
إنّ المناقشات التي أُجريت من قبل بعض الكتّاب المسلمين، سيّما السيد طالبي، هي علامات واعدة، رغم فرادتها، وتبشّر بهذا التطور.

سيّداتي، سادتي،

من المؤكّد أنّه لا يمكن لأحد أن يدّعي ضبط أو حلّ، مشكلة بالغة التعقيد إلى هذا الحدّ، بعصا سحريّة. ولكن، أقلّه، يجب محاولة فهم وطرح الأسئلة المناسبة التي تفرض نفسها.

ومع الأخذ بعين الاعتبار التعدّديّة الإنسانيّة، ومزيجها الثقافي والمذهبي والعرقي، يبدو لي من الحكمة والضرورة أن نميّز بين مختلف أنواع العلاقات التي تسيّرها. فإذا كانت العلاقات بين البشر أفقيّة ومبنيّة على القيم الإنسانيّة، فإنّها، وعلى العكس من ذلك، عموديّة عندما يتعلق الأمر بعلاقة كلّ إنسان منّا مع الله وأسراره.
لقد عرفت الإنسانيّة في مسيرة حياتها المؤلمة، أوقاتاً من الركود، وأوقاتاً أخرى من الانتفاضات، كما عرفت أيضاً أوقات انحطاط.
وبعد آلاف السنين من الصراع والتنازع في ما بينها، ومن الظلم والآلام، استطاعت البشريّة بكل تعدّديتها، أن تجد الحكمة للمرّة الأولى في تاريخها، فاجتمعت حول طاولة، ووضعت ميثاقاً عالميّاً ليكون ركيزة للعلاقات بين الناس والشعوب والأمم، وهو الميثاق العالمي لشرعة حقوق الإنسان.

إنّ الاعتراف بهذا الميثاق هو التزام بمسيرة البشريّة نحو التطوّر، نحو الخير، وربّما نحو الله. واحترامه هو مساهمة متواضعة بهذه المسيرة، أمّا رفضه فهو بمثابة نكران للقيم التي يحمل ويقود.
فالظلم والعذابات والحروب والركود لا يمكن أن تشكّل بأيّ حال من الأحوال، الخيارات المعتمدة للإنسان المتمدّن، والواعي للهبة التي ورث.
إنّ اصطدام الحضارات يبدو وكأنّه الشبح المهيمن على السنين القادمة، ولا يمكن مواجهته إلّا بالحوار الذي يقوم على حقّ الشعوب في تقرير مصيرها، وعلى حقّها الأساسي بالاختلاف وحرّيّة المعتقد.

لكنّ الحوار الحقيقي، وعلى المستوى العالمي، لا يمكن أن ينحصر بالمناقشات النظريّة، بل يلزمه نماذج محسوسة تكون بوتقة ثقافات ومساحات حوار. وسبق للبنان أن شكّل هذا النموذج، وكان مثال المجتمع التعدّدي المتميّز بالتعايش والتسامح والاعتدال. هكذا كان، وهكذا يجب أن يعود.

لذلك، فإنّ الوقت قد حان كي يخرج لبنان من وضعيّة الرهينة للنظام السوري، ويستعيد سيادته. حان الوقت كي يسترجع مهمّته بأن يكون أرض السلام والحوار، وأن يكون شاهداً أمام العالم بأسره على أنّ الغرب والشرق يمكن أن يتفاهما ويعيشا معاً في انسجام.

وهذا ما يشكّل إلى حدّ ما طريقة للانتصار على الظلاميّة وقوى الشرّ.

كلمة العماد ميشال عون في جامعة دمشق
٤ كانون الأول ٢٠٠٨

سيّداتي، سادتي،

لا شكّ أنكم تتساءلون وأنا أتوجّه إليكم في هذا اللقاء الكبير والمميّز، ما عساي أقول في هذه المناسبة، وهي الأولى بعد عقود من الزمن طغت عليها ظروف صعبة ومعقّدة، رافقتها أحداث أليمة خيّمت على العلاقات في ما بيننا، فالكلام المشدود إلى مثل هكذا ماض يصبح مربكاً، لا سيّما وأن قوىً كبرى ساهمت في تكوين تلكَ الحالة، أو كانت من مسبباتها، ما زالت ضاغطة، وتعمل جاهدة لإبقائها وإيقاف مسيرة العودة إلى الحالة الطبيعيّة الواجب أن تسود واقعنا.

فهل نستطيع فصل الماضي عن الحاضر والمستقبل كي يصبح الكلام مريحاً والإصغاء ممكناً؟!
أنا أقول نعم، ولكن ليس بمحوه طبعاً، ولا بالخوف منه، ولا بالهروب إلى الأمام. بل من خلال مواجهته، وإعادة النظر فيه من قبل الجميع، بذهنيّة الناقد الذاتي المصمّم على التغيير.
وقدرتنا على القيام بهذه العمليّة هي مقياسٌ لإرادتنا وتصميمنا على التطوّر ومواكبة المتغيّرات والمساهمة في صنعها، فنجعلها أكثر ملاءمةً وفائدةً لمجتمعاتنا وأوطاننا.
من هذا المنطلق يصبح التفاهم سهلاً والتقارب طبيعياً، فلا يعود الماضي مرهقاً، ولا الحاضر مربكاً، ولا المستقبل مقلقاً.
لقد قمنا في لبنان، نحن والمقاومة، بهذه التجربة التقييميّة منذ العام ٢٠٠٦، ونجحنا معاً بعد أن وضعنا كلّ الأمور على الطاولة وناقشناها بعمق وصراحة أوصلانا إلى تفاهم. هذا التفاهم الذي انعكس على مجتمعنا طمأنينة مكّنتنا من المحافظة على وحدتنا الوطنية، وساعدت المقاومة على تحقيق الانتصار في أشرس حرب خاضتها إسرائيل ضدّ لبنان، ووفق موازين قوى غير متكافئة بفوارقَ كبيرة. وإذا كانت

الطمأنينة ساعدت المقاومة، فالغطاء الذي أمّنه خيارنا الوطني بدعمها في مواجهة إسرائيل، حصّنها ضدّ الخارج الذي حاول استقطاب الداخل اللبناني لمناهضة المقاومة، بإثارة مخاوف أمنيّة من سلاحها، ومخاوف سياسيّة من غاياتها، ليس أقلّها اتّهامها بالسعي إلى إقامة نظام ديني يتناقض مع عاداتنا وتقاليدنا والتزامنا بحرّيّة المعتقد.
بالرغم من كلّ العراقيل، حقّقنا تناغماً وطنيّاً حول المقاومة ومفاهيمها وأهدافها، ووحّدنا النظرة إلى وطن سيّد حرّ مستقلّ، يبني علاقاته مع الدول الأخرى على أساس الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة، كما النظرة إلى مجتمع مستقبلي نسعى إلى قيامه، في ظلّ دولة قويّة وعادلة. وبدأنا انطلاقة جديدة على طريق المواطنة، آملين استكمالها بتحوّلات بنيويّة.

وخلافاً لكلّ التوقّعات التي أكّدت يومذاك انتصار إسرائيل على المقاومة، أتت النتائج لتعكس هزيمة لم تُشف إسرائيل من تداعياتها بعد، كما لم تستطع تهديدات المسؤولين الإسرائيليّين المستمرّة بضرب لبنان ومقاومته وبنيته التحتية، أن ترفع من معنويّات قواتّهم المسلّحة، أو أن ترهبنا. فهم لم يتعلّموا شيئاً من تجاربهم السابقة فيه، ولا زالوا يقوّمون خطأً أسباب هزائمهم المتكرّرة؛ فبيننا وبينهم فوارق كبيرة في تقدير موازين القوى، قيمتهم الآلة وقيمتنا الإنسان. وإذا كانوا قد حوّلوا الآلة أداةً لاغتصاب الحقوق، فإنّ الإنسان المؤمن بحقّه استطاع تدمير تلك الآلة. وهذه المعجزة قد تمّت على أيدي المقاومين، وفرضت معادلة عسكريّة جديدة ستبقى قائمة طالما بقي مجتمعنا يواصل دعمه للمقاومة.
منذ قيام إسرائيل، أي منذ ستين عاماً، وهي تواجه مشاكلها مع العرب على قاعدة القوّة، بواسطة الصراع المسلّح، معتمدةً المدفع والدبّابة والطائرة. وإذا كانت إسرائيل قد حقّقت انتصارات آنيّة، مستفيدةً من تعثّر إنساننا في تلك المرحلة، فإنّها، لم تستطع إسقاط إرادة النواة

الصلبة في المقاومة التي كانت تتزايد مع تزايد العنف الإسرائيلي. وهكذا تمكن شعبنا أن يحرّر نفسه من التعثّر والارتباك. وعلى الرغم من تخاذل بعضنا أحياناً، حقّقت المقاومة الانتصار.
إنّ إسرائيل التي وصلت قواها المسلّحة إلى حجمها الأقصى ومستواها الأعلى في الجهوزيّة التقنيّة والقتاليّة والعسكريّة، أصيبت بالهزيمة، ولن تكون لها غلبة بعد الآن، ولن ينقذها التدريب الجديد لوحداتها العسكرية؛ فالموضوع يتخطّى تقنيّات استعمال السلاح والقتال ليصيب الثقة بالنفس، والقدرة على الاستمرار في معركة مع لبنان.

إنّ القادة الإسرائيليين غطّوا هزيمتهم بادّعائهم عدم الإعداد اللازم للمعركة. والصحيح أنّ حجم القوى ومستوى التدريب ووسائله كانت أكثر من كافية، ولكنّ الشعب الإسرائيلي الذي يولد ويموت في الحروب، بدون أن يأمل يوماً بالوصول إلى السلام المنشود، فقد معنوياته وخسر إرادة القتال، وهنا يكمن السبب الحقيقي للهزيمة.

في نهاية العام ٢٠٠٤ نُشرت رسالة كتبها عالم النفس اليهودي سيغموند فرويد إلى الدكتور حاييم كوفلر في العام ١٩٣٠، أي بعد ٧٥ عاماً من كتابتها، وهي تناهض الفكر الصهيوني الذي يدعو إلى إقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وقد رفض فرويد طلب كوفلر المساهمة في الدعاية لهذه الدولة لعدّة أسباب وجيهة فنّدها في رسالته، وهذه الأسباب هي نفسها المشاكل التي تعاني منها إسرائيل اليوم.

ويأتي أيضاً كتاب المؤرّخ اليهودي «إيلان بابيه» ILAN PAPPE «التطهير الإتني لفلسطين» في العام ٢٠٠٦ ليشكّل إقراراً موثّقاً بالمجازر التي ارتكبتها الصهيونية بحقّ الفلسطينيّين منذ العام ١٩٤٨، وبالتهجير الذي طاول مدنهم وقراهم.

لقد كان من المفترض أن تبقى رسالة فرويد سرّية، ولكنّ نشرها ونشر كتاب «التطهير الإثني لفلسطين» في وقت متزامن تقريباً، وحيث لا يزال هذا التطهير متواصلاً، وكذلك المجازر الإسرائيليّة، خصوصاً في غزّة، يشكّلان بالحد الأدنى دعوة من عقلاء اليهود إلى إعادة نظر في السلوك والتفكير الإسرائيليّين اللذين لا يتآلفان مع مسيرة السلام التي انخرطت فيها إسرائيل والدول العربيّة.

في الواقع، إنّي متيقّن أنّ إعادة النظر هذه إذا حصلت، ستجعل إسرائيل تغيّر مقاربتها في معالجة القضيّة الفلسطينية، وتفهم بصورة أكيدة ونهائيّة أنّها إذا أرادت السلام فإنّه يبدأ بحل مشكلة اللاجئ الذي طُرد من أرضه، ومن ثمّ إعادة الحقوق في الأرض إلى أصحابها؛ فلا سلام بدون عدالة، ولا عدالة إلّا باحترام الحقوق... وخلاف ذلك، الحلول سراب.

لا يمكن لإسرائيل اليوم أن تتصرّف عكس مسار التاريخ، وتتحدّى التطوّر الإنسانيّ بعصبيّة لم تعد مقبولة؛ فمع سقوط الفكر الأحادي في جميع أشكاله، السياسيّة والعرقيّة والدينيّة، وسير المجتمعات باتّجاه التعدديّة التي بدأت تعمّ العالم، تعلن إسرائيل نفسها دولة يهوديّة، وتؤكّد على ذلك برفض حقّ العودة للفلسطينيّين إلى أرضهم. وبعد أن كان المضطهَد يطالب بأرض يعيش فيها تحول إلى مضطهِد يرتكب المجازر ويهجّر ويستولي على الأرض ويقضي على هويتها..

إن عوامل الخيبة والإحباط واليأس التي ضربت الشعب الإسرائيلي، تفرض على إسرائيل الإسراع في تغيير مقاربتها للحلول، وإلّا وجدت نفسها على مسار انحداري، نترك لها أن تقدّر أين ينتهي.

إنّ الذاكرة تبقى دائماً مشدودة إلى آخر الأحداث، وذاكرتنا اليوم مشدودة إلى حرب لبنان وحصار غزّة، وكأنّنا نسينا جذور المشكلة ونسينا مسبّبيها، مما يتيح لهم التلطّي والهروب من مسؤولية أعمالهم. فقلّما نشير إلى أنّ مأساة فلسطين، وما جرّته من ويلات على كلّ الشعوب العربيّة، إنّما وُجدت نتيجة قرار من الأمم المتّحدة قضى بتقسيم فلسطين، جاهلاً أو متجاهلاً ما تزخر به تلك المنطقة من مقدّسات تتقاسمها الديانات السماويّة الثلاث، ما يجعلُ السيطرة عليها من قِبَل فريقٍ ما، إعلاناً لحرب الآلهة على الأرض، تشتعل نارها تارة وتخبو طوراً، وفقا للظروف، ولكنّها لا تنطفئ أبداً.

إنّ الأمم المتّحدة التي قسّمت فلسطين، وما نتج عن هذا التقسيم من مساس مادّي ومعنوي بحقوق الشعب الفلسطيني، تُعتبر المسؤولة الأولى عن تغطية جميع أعمال الأذى التي قامت بها إسرائيل في ما بعد ضدّ الشعب الفلسطينيّ. وقد رأيناها تعالج هذه المشاكل وفق إرادة الدول الكبرى، بصرف النظر عن توافق هذه الإرادة مع القوانين الدوليّة أو عدمه. فهي لم تنجح يوماً في إدانة إسرائيل بسبب حقّ الفيتو، كما أنّها لم تحاول إرسال قوى لتنفيذ قرارات دوليّة في فلسطين لتساعد على حماية شعب بأكمله، بينما نراها في حقول النفط بقرار دولي أو بدون قرار. ونجد أهمّ أعضائها اليوم يعملون على إلغاء مفاعيل القرار ١٩٤ الذي ينصّ على حقّ العودة للّاجئين الفلسطينيّين من خلال الضغط لقبول تسوية تلغي واقعيّاً هذا الحقّ.
إنّ هذه المشكلة التي بدأت في العام ١٩١٧ مع وعد بلفور، وشغلت القرن العشرين، ستبلغ بعد تسع سنوات عامها المئة، وأكبر ضحاياها الشعب الفلسطيني ثم الشعب اللبناني. وباعتقادي، إذا لم تصل هذه القضيّة إلى حلّ عادل وسريع تتحمّل فيه الأمم المتّحدة مسؤوليّتها، فإنّ

النهاية ستكون أقرب مما نتصوّر، وأكثر مأساويّةً من البداية، تنعكس فيها الأدوار... تلك هي حتمية التاريخ.

بعد أن طرحنا أمامكم هذه المقاربة التي حقّقناها في لبنان، والتي أكّدت نجاحها، نتوجّه عبركم إلى مختلف المجتمعات العربيّة، عاقدين العزم على الوصول معاً إلى مجتمع عربي حضاري وحديث، أكثر فعاليّة وتضامناً، وأكثر استعداداً لمواجهة تحدّيات العصر، فنتحوّل عندئذٍ من مجتمع تبعي ملحق، إلى مجتمع طليعي قائد.

رسالة العماد ميشال عون إلى قداسة البابا بنديكتوس السادس عشر والسينودس من أجل المشرق المنعقد بين ٢٤ و١٠ تشرين الأول ٢٠١٠

قداسة البابا بنديكتوس السادس عشر
غبطة الكرادلة والبطاركة
سيادة الأساقفة وحضرة الكهنة والرهبان
حضرة المشتركين في السينودس من أجل الشرق الأوسط
أيّها المسيحيّون والمسلمون المشرقيّون

بعد ألفي عام ونيّف على مجيء السيد المسيح، وانطلاق بشارته من فلسطين وانتشارها في المشرق، مهدها الأوّل، ومنه إلى العالم. وأمام هذا المنعطف التاريخي الذي يعيشه المشرق والأخطار التي تهدّد وجوده ونسيجه الوطني، والمخطّطات التي تحاك لتغيير معالمه الحضارية والإنسانية، يتوجّب عليّ كمواطن مسؤول، يتقاسم الهويّة المشرقيّة الواحدة مع أخوة له في المواطنة والدين، على هذه الرقعة من الأرض المقدّسة، أن أتوجّه إليكم بلغة بسيطة واضحة، بعيداً عن الاجتزاء والغموض، حيال ما يعترضنا اليوم من واقع مرير، أشرتم إليه، مشكورين، في رسالتكم «آلية العمل»، التي تتضمّن خطوات السينودس من أجل الشرق الأوسط.

لقد كان دور المسيحيّين المشرقيّين عبر التاريخ طلّاعاً في الثقافة والعلم والمعرفة. وكانوا إلى جانب المسلمين مذ وطئت أقدامهم بلاد المشرق، ووقفوا قرب الخلفاء كروّاد إدارة وعلوم وطبّ وترجمة، حتّى غروب العصر العربي الإسلامي وسقوط الدولة العباسية

(٧٥٠ – ١٢٥٨م)، لا بل تولّوا مهمّات تنويريّة صعبة في عهود حالكة أتت على المشرق إبان انهمار البرابرة والتتار عليه، لذلك لم يكن مستغرباً أبداً اندفاعهم للتنوير الثاني خلال النزع الأخير للسلطنة العثمانيّة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، في ما سمّي «عصر النهضة العربية» وكانوا الجسر المعرفي الذي أوصل المشرق الإسلامي إلى الغرب وأتى بمنجزات النهضة العلميّة الغربيّة إلى البلاد المشرقيّة.

قداسة البابا

من الخطأ مقاربة الواقع المشرقي الحالي من منطلق أقليّات وأكثريّات، فهذه البلاد منذ فجر التاريخ هي ثمرة تراكم معرفي ثقافيّ لشعوب كثيرة وديانات شتّى منذ ما قبل التوحيد. تراكم جمّعته الأقليّات والأكثريّات معاً في مزيج عزّ نظيره، وتقلّبات غيّرت التوجّهات السياسيّة وأبقت على التنوّع المجتمعي والثقافي داخل الجغرافيا، ولطالما كانت هناك أكثريّة باتت أقليّة، وبالعكس، وهذا نموذج فريد للغنى الروحي والثقافي والمعرفي يقتضي منّا جميعاً المحافظة عليه وحمايته في إطار احترام حرّيّة المعتقد والرأي والتعبير وحقّ الاختلاف، مع التشبث بهذا المشرق. وهذه فحوى الإرشاد الرسولي لسلفكم، قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني.

لطالما أثبت التاريخ في هذه المنطقة أنّ التشبّث بالجذور، والاقتراب من دعوة السيّد المسيح في المحبّة والسلام هو خشبة خلاص.. ليس للمشرق وحده بل للعالم. كلّما اقتربنا من قريبنا في الوطن وأحبنائه، كلما أفلحنا، وكلما ابتعدنا عن محبّة القريب جنحنا نحو التقوقع أو السقوط أو الهجرة. لذلك، نأمل من قداستكم تعميم ثقافة الانفتاح لا التخويف، والاقتراب لا الابتعاد، لنسير جميعاً إلى حيث يعمّ السلام وتنتصر المحبة.

ولا يخفى على قداستكم أنّه لا يوجد سبب واحد وحيد لنزوع المسيحيّين إلى الهجرة. إنّ مسؤوليّة النزيف البشري في المشرق لا تقع على الخوف من التطرّف الديني فقط، بل إنّ الوضع الاقتصادي المتردّي، والسياسي المتقلّب، والحروب المتتالية منذ الحرب العالميّة الأولى، والفقر والجوع اللذين لحقا بالمشرق جراءهما، والحرب العالميّة الثانيّة، واستعمار المنطقة، وتأسيس إسرائيل، وتقسيم فلسطين والتطهير العرقي ضد سكانها العرب من مسلمين ومسيحيين، واستكمال الضغوط عليهم لتهجير من تبقّى منهم، ورفض حقّ عودتهم إلى بلادهم، شكلت أسباباً أكثر من وجيهة للهجرة. هنا، يندرج مخطّط توطين الفلسطينيّين في البلدان التي هُجّروا إليها، وهو ما نرفضه ونسعى لعدم وقوعه، لأنّه يصبُّ في خانة تفريغ الأرض من سكّانها الأصليّين، وجعل مهد السيّد المسيح من دون مسيحيين، وشطب الهويّة الجامعة للأرض المقدّسة؛ فهل يمكننا تصوّر المسيح والمسيحيّة من دون القدس وبيت لحم والناصرة وكفرناحوم وطبريّا؟ وهل من مسيحيّة من دون البشارة والمغارة والجلجلة والقبر المقدّس وبولس الرسول والتلاميذ الذين انطلقوا ليبشّروا كلّ الأمم؟ وهل من مياه تنساب إذا جفّ النبع؟.

إنّ الكلام عن يهوديّة دولة إسرائيل والعمل لتحقيق ذلك، سيجرّان تهجيراً جديداً، وحروباً ومآسٍ وويلات، على أرض قال سيغموند فرويد إنّها «مثقلة تاريخيّاً» بأقدس معالم المسيحيّة وأهمّ المعالم الإسلاميّة، ومحجة الديانتين الكونيتين، وهما إلغاء صريح لرسالتين سماويّتين يؤمن بهما أكثر من ٣ مليارات إنسان دفعة واحدة، وتكريس أحاديّة دينيّة يؤمن بها حوالي ١٢ مليون إنسان. ما يشكّل طعنة للحضارة والإنسانيّة، وتأسيساً لحروب مقبلة.

من قراءتنا لواقع المشرق، الحافل بالتعاون الإسلامي – المسيحي، فإنّ المشرقيّين ينتظرون من الفاتيكان، بما يمثّله من سلطة روحيّة لدى المسيحيّين الكاثوليك، ومعنويّة بالنسبة للعالم، وحضور لكرسي بطرس في قلوب المؤمنين، كما ينتظرون من رؤساء الكنائس الأرثوذكسيّة والبروتستانتيّة، العمل لدى حكومات وإدارات العالم الغربي لوقف محاولة أبلسة الدين الإسلامي الذي يؤمن به أكثر من مليار إنسان، في تقاليده وعاداته. وأن تتمّ الدعوة إلى النظر بجوهره ونصّه الديني الأصلي فقط، لا من خلال أفعال مجموعات تكفيريّة إرهابيّة، يرى المسلمون أنفسهم أنّهم ضحاياها مثل بقيّة العالم، وإنّها لا تمتّ إلى دينهم بصلة.

إنّ الاستمرار في إطلاق نعوت التطرّف على الدين الإسلامي، وتعميم مفهوم الرُهاب الإسلامي (الإسلاموفوبيا)، سيؤديّان حتماً إلى مزيد من الصدامات وعدم الاستقرار في المشرق والعالم، وربما إلى صراع ديانات وحضارات لا نهاية له إلاّ التدمير الذاتي للعالم.
كذلك، ينتظر المسيحيّون المشرقيّون من الحبر الأعظم ممارسة الضغط على إسرائيل لوقف تهويد القدس، وإحلال السلام في المشرق بناء على قرارات الأمم المتّحدة ذات الصلة، والسعي لوقف هجرة الأقوام التاريخيّة من آشوريّين وكلدان وسريان.

وينظرون أيضاً إلى الكرسي الرسولي كمساعد على ترسيخ حضورهم في بلادهم، ووقف تهجيرهم أو هجرتهم منها، بخاصّة في فلسطين والعراق ولبنان، في ظلّ سياسات تديرها حكومات غربيّة ودولة إسرائيل للوصول إلى هذه النتيجة.

أمّا بالنسبة للكنائس المشرقيّة المتربّعة على الكرسي الأنطاكي بمدلولاته التأسيسيّة لهويّتهم المسيحيّة وتسميتهم «مسيحيّين»، وبقائه عاصياً في معناه العميق على كلّ الحروب والاجتياحات والزلازل، فإنّ المسيحيّين المشرقيّين يأملون منها ومن بطاركة المشرق والكنيسة، من حيث المبدأ، وحدة في النهج وتنسيقاً دائماً، كما المسيح واحد في الأناجيل، وعلى الأقل توحيد عيد الفصح في المشرق، ففي هذه الوحدة قوّة لحضورهم وفعاليّتهم في بلادهم. هم ينتظرون أيضاً من الكنائس المشرقيّة انخراطاً أوسع في العمل الاجتماعي ودعم الشباب وتحفيزهم على الانخراط في العمل الوطني والاجتماعي، ودعوتهم ومساعدتهم على البقاء في بلدانهم والابتعاد عن الهجرة، والسعي لتأمين حضورهم الفاعل في المجتمع، وجعل المدارس التي تديرها الكنائس والرهبانيّات موقعاً للوحدة الاجتماعيّة والتنوير. وأيضاً استخدام سلطتهم لكتابة تاريخ واحد للمنطقة، يؤكّد على وحدة المجتمع ودور النشء الجديد في تبوؤ مواقع رياديّة، وعلى أن الحياة المشتركة هي خيار واعٍ للجميع، وأن عليهم تحمّل ما يقع من أخطار على المجتمع، كمثل ما يمكن أن يجنى منه، وعدم الهروب من مواجهة المشاكل الاجتماعيّة والاقتصاديّة بالهجرة، وأن يحملوا صليبهم ويتبعوا خطى السيّد المسيح. كما يأمل المسيحيّون المشرقيّون من كنائسهم السعيّ لوقف التخويف من الشركاء في الوطن، وإلغاء مفهوم الآخر المختلف، وذلك على أساس المواطنة.
وبالنسبة إلى السلطات الزمنيّة السياسيّة في الدول المشرقيّة، فإنّ المسيحيّين المشرقيّين يأملون منها الحفاظ على النسيج الاجتماعي والوطني لهذه الدول، وتاريخها المشترك، وتراثها الروحي، بالعمل على إلغاء كل معوّقات التنمية والتقدّم، والسعي لتثبيت الأقوام التاريخيّة في أرضها، ووقف نزف العقول الشابّة، وبخاصّة المسيحيين، عبر الهجرة. فجميع مكوّنات المجتمع هم أبناء هذه البلاد. ويبقى أخيراً العمل على محاربة التطرّف الديني والحثّ ثقافيّاً ودينيّاً وسياسيّاً وإعلاميّاً على بثّ روح القرابة والرحمة والمواطنة في

المجتمع.
قداسة البابا
حضرة المشاركين في السينودس

إنّها فرصة تاريخيّة يمكن أن لا تتكرّر، فها أنتم تجتمعون مثل اجتماع الرسل بعيد العنصرة، وللمرّة الأولى لبحث مآل المسيحيّين في المشرق. لذلك، ننتظر منكم قرارات بحجم هذا الوضع، بحجم الصخرة التي بنى عليها السيّد كنيسته، وكان مؤمناً بأنّ أبواب الجحيم لن تقوى عليها. فهو الذي حثّ إيماننا، ولو كحبة خردل، على زحزحة الجبال...
لقد آمنّا جميعاً أنّ المسيح معنا إلى أبد الدهر، ترك لنا رسالته وبُشراه، فلا تدعوا أرضه نهباً للظّلم والظلام. تصوّروا للحظة واحدة مشرقاً من دون مسيحيين...
وقتها فقط سينتصر الشرّ في العالم، ويبطل فعل القيامة، ويذهب الكون إلى مذبحة لا سابق لها.

لهذا، أتوجّه إليكم بما أمثّل في هذه البلاد التي مشى عليها يسوع، لأن تخرجوا بقرارات تبقي السِراج عالياً ومضيئاً وهادياً على العتبة.. سراجاً للمشرقيّين مسيحيّين ومسلمين.

خطاب القسم لفخامة رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة العماد ميشال عون مجلس النواب، ٣١ تشرين الأول ٢٠١٦

دولة رئيس مجلس النوّاب،
دولة رئيس مجلس الوزراء،
حضرات النوّاب والوزراء،
حضرة رؤساء وأعضاء السلك الدبلوماسي،
أيتها اللبنانيّات
أيها اللبنانيّون

كنت قد آليت على نفسي أن أكتفي بالقسم إذا ما انتُخبت رئيسًا للجمهوريّة، سيّما وأنّ يمين الإخلاص للأمّة، التي أورد الدستور نصّها الحرفي، إنّما هي التزام وجوبي على رئيس الجمهوريّة من دون سواه من رؤساء السلطات الدستوريّة في الدولة، وفيها كلّ المعاني والدلالات والالتزامات.

إلّا أنّ الخلل السياسي المتمادي، والشغور المديد في سدّة الرئاسة، حملاني على أن أتوجّه من خلالكم، وبالمباشر إلى الشعب اللبناني العظيم الذي كان دوماً على الموعد معي، والحصن المنيع الذي ألجأ إليه في التعهّدات الكبرى والخيارات المصيريّة.

إنّ من يخاطبكم اليوم، هو رئيس الجمهوريّة الذي أوليتموه، مجلساً وشعباً، ثقتكم لتحمّل مسؤوليّة الموقع الأوّل في الدولة، الآتي من مسيرة نضاليّة طويلة لم تخلُ يومًا من المسؤوليات الوطنية، سواء في المؤسّسة العسكريّة التي نشأ في كنفها وتبوّأ قيادتها، أو في ممارسة السلطة العامة بالتكليف الدستوري، أو في الشأن العام بالتكليف الشعبي. رئيسٌ أتى في زمن عسير، ويؤمل منه الكثير في تخطّي

الصعاب، وليس مجرد التآلف والتأقلم معها، وفي تأمين استقرار يتوق إليه اللبنانيّون كي لا تبقى أقصى أحلامهم حقيبة السفر.

إنّ أوّل خطوة نحو الاستقرار المنشود هي في الاستقرار السياسي، وذلك لا يمكن أن يتأمّن إلّا باحترام الميثاق والدستور والقوانين من خلال الشراكة الوطنيّة التي هي جوهر نظامنا وفرادة كياننا. وفي هذا السياق تأتي ضرورة تنفيذ وثيقة الوفاق الوطني، بكاملها من دون انتقائيّة أو استنسابيّة، وتطويرها وفقاً للحاجة من خلال توافق وطني. ذلك أنّها، في جزء منها، دستور، وفي جزء آخر، تعهّدات وطنيّة ملزمة، ولا يمكن بالتالي أن يصار إلى تطبيقها بصورة مجتزأة، فينال منها الشحوب والوهن، ولا يستوي في ظلّها نظام أو حكم، ولا تنهض عنها شرعيّة لأيّ سلطة.

فرادةُ لبنان هي بمجتمعه التعدّدي المتوازن، وهذه الفرادة تقضي بأن نعيش روح الدستور، من خلال المناصفة الفعليّة، وأولى موجباتها إقرار قانون انتخابي يؤمّن عدالة التمثيل، قبل موعد الانتخابات القادمة.

أمّا في الاستقرار الأمني، فإنّ أوّل مقوّماته الوحدة الوطنية، وكلّنا يعي التحدّيات التي تواجهنا بصورة داهمة، وضرورة التصدّي لها بلا هوادة، بوحدتنا وانفتاحنا على بعضنا البعض، وقبول كلّ منا رأي الآخر ومعتقده. هكذا نحافظ على روافد قوّتنا، ونسدّ الثغرات التي قد تنفذ منها سموم الفتنة والتشرذم والتشنّج والفوضى.

إنّ لبنان السائر بين الألغام لا يزال بمنأى عن النيران المشتعلة حوله في المنطقة. ويبقى في طليعة أولويّاتنا منع انتقال أي شرارة إليه. من هنا ضرورة ابتعاده عن الصراعات الخارجيّة، ملتزمين احترام ميثاق جامعة الدول العربيّة، وبشكل خاصّ المادّة الثامنة منه، مع اعتماد سياسة

خارجيّة مستقلّة تقوم على مصلحة لبنان العليا، واحترام القانون الدولي، حفاظاً على الوطن واحة سلام واستقرار وتلاقٍ.

أمّا في الصراع مع إسرائيل، فإنّنا لن نألو جهداً ولن نوفّر مقاومةً، في سبيل تحرير ما تبقّى من أراضٍ لبنانيّة محتلّة، وحماية وطننا من عدوٍّ لما يزل يطمع بأرضنا ومياهنا وثرواتنا الطبيعيّة.

وسنتعامل مع الإرهاب استباقيًا وردعيًا وتصديًا، حتّى القضاء عليه. كما علينا معالجة مسألة النزوح السوريّ عبر تأمين العودة السريعة، ساعين أن لا تتحوّل مخيّمات وتجمّعات النزوح إلى محميّات أمنيّة. كلّ ذلك بالتعاون مع الدول والسلطات المعنيّة، وبالتنسيق المسؤول مع منظّمة الأمم المتّحدة التي ساهم لبنان في تأسيسها، ويلتزم مواثيقها في مقدمة دستوره. مؤكّدين أنّه لا يمكن أن يقوم حلّ في سوريا لا يضمن عودة النازحين ولا يبدأ بها. أمّا في ما يتعلّق بالفلسطينيّين فنجهد دوماً لتثبيت حقّ العودة ولتنفيذه.

إنّ بلوغ الاستقرار الأمني لا يتمّ إلّا بتنسيق كامل بين المؤسّسات الأمنيّة والقضاء؛ فالأمن والقضاء مرتبطان بمهمّات متكاملة، ومن واجب الحكم تحريرهما من التبعيّة السياسيّة، كما عليه ضبط تجاوزاتهما فيطمئن المواطن إلى الأداء، وتستعيد الدولة وقارها وهيبتها.

أمّا مشروع تعزيز الجيش وتطوير قدراته، فهذا سيكون هاجسي وأولويّتي، ليصبح جيشنا قادراً على ردع كلّ أنواع الاعتداءات على وطننا، وليكون حارساً أرضه وحامياً استقلاله وحافظاً سيادته.

يبقى الاستقرار الاقتصاديّ والاجتماعيّ، ذلك أنّ الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة والماليّة والإنمائيّة والصحيّة والبيئيّة والتربويّة تمرّ بأزمات متلاحقة، لا بل متواصلة، لأسباب عدّة خارجيّة وداخليّة. واذا كانت

الأسباب الخارجيّة عاصيةً علينا ولا نستطيع سوى الحدّ من آثارها، فإنّ الداخليّة منها تفرض علينا نهجاً تغييرياً لمعالجتها، يبدأ بإصلاح اقتصادي يقوم على التخطيط والتنسيق بين الوزارات، والتأليل في مختلف إدارات الدولة. إذ لا يمكن أن نستمرّ من دون خطّة اقتصاديّة شاملة مبنيّة على خطط قطاعيّة؛ فالدولة من دون تخطيط لا يستقيم بناؤها، والدولة من دون مجتمع مدني لا يمكن بناؤها.

إنّ استثمار الموارد الطبيعية في مشاريعَ منتجة يؤسّس لتكبير حجم اقتصاد حرّ قائم على المبادرة الفرديّة، وعلى إشراك القطاع الخاصّ مع القطاع العامّ، وذلك من ضمن رؤية ماليّة هادفة ومتطوّرة.

كما أنّ الاستثمار في الموارد البشريّة، وبشكل خاصّ في قطاع التربيّة والتعليم والمعرفة، يسهم في بناء أجيال يعوّل عليها لضمانة مستقبل لبنان الذي نطمح جميعاً إليه. حيث أن غنى لبنان الأساسي هو في إنسانه المنتشر في كلّ بقاع العالم، هذا الإنسان الذي ندين له باستمراريّة رسالة لبنان ونشرها، كما في إنسانه المقيم الذي من حقّه أن يعيش في بيئة سياسيّة سليمة وفي بيئة طبيعيّة نظيفة.

أمّا اللامركزيّة الإداريّة، بما تجمع من مرونة وديناميّة في تأمين حاجات الناس وخدماتهم، مع حفاظها على الخصوصيّة ضمن صيغة العيش الواحد، فيجب أن تكون محوراً أساسيّاً، ليس فقط تطبيقاً لوثيقة الوفاق الوطني أو انسجاماً مع طبيعة لبنان، بل أيضاً تماشياً مع تطوّر نظم الحكم في العالم.

إنّ هذا الإصلاح الاجتماعي – الاقتصادي، لا يمكن له أن ينجح إلّا بإرساء نظام الشفافية عبر إقرار منظومة القوانين التي تساعد على الوقاية من الفساد وتعيين هيئة لمكافحته، وتفعيل أجهزة الرقابة وتمكينها من القيام بكامل أدوارها.

ويبقى الأهمّ اطمئنان اللبنانيّين إلى بعضهم البعض وإلى دولتهم بأن تكون الحامية لهم والمؤمّنة لحقوقهم وحاجاتهم، وأن يكون رئيس الجمهوريّة هو ضامن الأمان والاطمئنان.

هذه هي العناوين الكبرى لعهد رئاسي أرغب صادقًا أن يكون عهدًا تتحقّق فيه نقلة نوعيّة في إرساء الشراكة الوطنيّة الفعليّة في مختلف مواقع الدولة والسلطات الدستوريّة، وفي إطلاق نهضة اقتصاديّة تغيّر اتجاه المسار الانحداري، وفي السهر على سلامة القضاء والعدالة، ما من شأنه أن يمهّد السبيل إلى قيام دولة المواطنة، بعد أن يكون كلّ مكوّن قد اطمأن إلى يومه وغده ومصيره في لبنان.

ربّ قائل إنّنا قد تأخّرنا في إنجاز ما حلمنا به وناضلنا من أجله وتشرّد لنا أعزّاءٌ في أصقاع الأرض، وسقط لنا أحبّاء، شهداء وجرحى وأسرى ومفقودون، في سبيله. ولكن، كلّي ثقة بأنّ اللبنانيّين جميعاً، رغم إدراكهم أنّ الطريق شاقّ وطويل، لديهم العزم والإرادة والإقدام لنحقّق معاً ما نذرنا له الحياة، وهو لبنان القويّ الموحّد لكلّ أبنائه، لبنان الحرّيّة والكرامة، لبنان السيادة والاستقلال، لبنان الاستقرار والازدهار، لبنان الميثاق والرسالة.

كلمة فخامة الرئيس العماد ميشال عون في الصرح البطريركيّ في بكركي: ١٧ تشرين الثاني ٢٠١٦

أصحاب الغبطة،
سيادة الأساقفة،
إخواني

أنا اليوم على منبر كنسيٍّ، في الصرح البطريركي الماروني، وتعاودني وقائع تاريخيّة سردَ قسماً منها غبطة البطريرك، وهي جزء من تاريخ لبنان الحديث.

إنّ دور غبطة البطريرك حويّك الذي عمل على وحدة لبنان وسيادته، وجمع جميع طوائفه ومكوّناته حول هذا الاستقلال، وحول ميثاق واجب علينا احترامه، نعرفه جميعنا.

ولكنّنا نذكر أيضاً التاريخ الذي سبق هذه الفترة، وأعني هنا عذابات الموارنة في مختلف مراحل التاريخ، سواء قبل قدومهم إلى لبنان أو بعده، مع المماليك، مع الأتراك، ومع كل الفاتحين. لذلك، نجد في أغنيتنا الليتورجيّة، وفي ألحاننا الكنسيّة، الحزن والتعب. ومن هنا نبدأ حياتنا الجهاديّة التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه.

يمرّ المشرق اليوم، بجميع مسيحيّيه، بفترة قد تكون الأصعب، لأنّها تحاول اجتثاث جذور المسيحيّة في هذا الشرق؛ فما يصلنا عن العراق من أن بيوت المسيحيّين هُدمت في الموصل فور خروجهم منها ولم تنتظر القنابل، يؤكّد هذه المقولة. ونحن في لبنان نعيش هذه الأخطار، وإن لم تكن عذاباتنا جسديّة، فالعذابات المعنويّة ترافقنا وتواكب أحلامنا لتحولها أحياناً إلى كوابيس.

إنّ جميع مؤسّساتنا أصيبت بالوهن، بسبب التمديد المتمادي لمجلس النواب، والعجز الذي وقعت فيه السلطة. وأكثر ما يؤلم وطننا في هذه المرحلة هو الفساد المستشري الذي سدّ شرايين الدولة، وجعلها في حالة عجز دائم. والسبب الأساسي هو الانحطاط الذي ضرب المجتمع، فأصبحت كلّ مرتكزات الحكم خارج نطاق الكفاءة والأخلاق. وكلّ عمل سلطوي لا يحترم بمعاييره القوانين والأخلاق يصبح جريمة، لأنّه يسبّب الأذى للأفراد وللمجتمع.

لذلك نعود إلى الكنيسة التي تمتلك السلطة المعنويّة، والتي تدافع عن القضايا الكبرى، عن العدالة، عن القيم الإنسانيّة، عن الأخلاق.. لتساعد شعبنا في التربية وليس فقط في التعليم؛ فإذا كانت التنشئة السياسيّة هي علوم واختصاص، فإنّ القضايا التربويّة مرجعها الأخلاق، والأخلاق تعلو مرتبةً عن القوانين. إنّ الأخلاق هي الرادع لكلّ مسؤول، وهي التي تمنعه عن ارتكاب الشواذ، فالمسؤول هو القدوة، وكل من يمارس سلطة، سياسيّة كانت أو روحيّة أو اجتماعيّة، عليه أن يكون القدوة.

نأمل الكثير الكثير من كنيستنا، لا بل من كل كنائسنا، أن تقوم بهذا الدور التربوي الرائد، إذ من دون التربية لا يمكن أن يرتقي مجتمع، وأن تتحسّن سيرته وسلوكه.
قلتها مراراً وأكرّرها اليوم، إنّ الكنيسة هي الضامنة للقيم، ونحن لا نستطيع منفردين، أن نقوم بأيّ واجب علينا إلّا بمعاضدة الجميع، وخصوصاً الكنائس المسيحيّة التي تربّي أجيالنا على الأخلاق والإيمان والرجاء.
ختاماً، أشكر غبطة بطريركنا بشارة الراعي على الحفاوة التي استقبلتموني بها، وأشكر أيضاً غبطة بطاركة الكنائس الشرقيّة، وآمل أن نتعاون جميعاً لما فيه خير الكنيسة وخير لبنان.

كلمة فخامة الرئيس ميشال عون في عيد الاستقلال
بعبدا، ٢١ تشرين الثاني ٢٠١٦

أيّتها اللبنانيّات،
أيّها اللبنانيّون،

نحتفل غداً بعيد استقلالنا الثالث والسبعين، وللعيد نكهة خاصّة هذا العام بعد أن أثمر نضالنا، وأزهرت دماء شهدائنا، والعهد الذي قطعناه لهم صار على طريق الإنجاز. فالاستقلال إن لم يكن عيد الشعب المطمئنّ إلى أمنّه وغده، ومهرجاناً للسيادة الوطنية لا يعود عيداً، بل يصبح ذكرى مؤلمة وغصّة موجعة. فلتكن إرادتنا وعزيمتنا جميعاً أن نحافظ على هذا العيد عيداً، وأن نمنع تحوله مجدداً إلى ذكرى، ويقيني أننا قادرون.

منذ أعوام، يعيش لبنان وسط منطقة ضربتها زلازل حروب مدمّرة، كانت في بداياتها حركات مطلبيّة تحمل شعارات مغرية وواعدة بتطوير الأنظمة لجعلها أكثر ديمقراطيّة وعدالة، ولكنّها سرعان ما تحولّت إلى أعمال عنفيّة واندلعت الاشتباكات المسلّحة بين القوى المتناحرة، فوفّرت للقوى الخارجيّة ذرائع التدخّل والإمساك بمصير الشعوب المتصارعة.

إنّ التقدير المتناقض من قبل اللبنانيّين للأخطار المهدّدة للوطن وحجمها ونوعها وتأثيرها على المجتمع والنتائج المترتبة عليها، خلق ردود فعل مختلفة، وأنتج مواقف حادّة متضاربة تركت آثاراً سلبيّة على العلاقات بين الأطراف اللبنانيّة. ولّما كان لبنان يتفاعل أحياناً وينفعل أحياناً أخرى مع قضايا الشرق العربي، كاد احتدام الأجواء في المنطقة يصدّع الوحدة الوطنية، وصار اللبنانيّون يشعرون أنّ استقرارهم مهدّد خصوصاً مع محدوديّة قدرات القوّات المسلّحة

في مواجهة تلك الأخطار الداهمة. لذلك، وفي هذا الوضع، يصبح تعزيز الوحدة الوطنية ضرورة قصوى وأولويّة، لأنّه يحصّن لبنان ويؤمّن استقراره ويقيه من تداعيات ما يحصل حوله، وهذه مسؤوليّة الجميع، مسؤولين ومواطنين.

أيّها اللبنانيّون،
أنتم قلقون على استقراركم، ولكنّكم أيضاً قلقون على استقلالكم، إذ تشعرون أنّه مهدّد على الدوام، وغير مكتمل، بسبب التدخّلات الخارجيّة التي طالما كانت تواجه القرارات الوطنيّة المتعلّقة بأبسط الحقوق في اختيار مسؤوليكم، وممارسة الأصول الديمقراطيّة، وحتّى في الدفاع عن أنفسكم. فأصبح لزاماً علينا أن نحصّن الاستقلال وأن نعيد له قوّته، ما يعني الامتناع عن اللجوء إلى الخارج لاستجداء القرارات الضاغطة على الوطن بغية الحصول على منفعة خاصّة على حساب المصلحة العامّة، أيّاً تكن هذه المنفعة.

ليس الاستقلال مشهداً احتفالياً يقام في كلّ عام وحسب، إنما هو أيضاً نبض قلوب تخفق مع خفقان العلم. هو انتساب إلى شعب يتشارك الحياة مع بعضه البعض، ومتضامن في السرّاء والضرّاء على أرض أعطتنا هويّة يجب أن نحافظ عليها. لا أن نتعامل معها كسلعة تجاريّة نعرضها للبيع في الأسواق الخارجيّة؛ فإن بعناها فقدنا الهويّة. والشعب بلا أرض هو لاجئ، والأرض بلا شعب هي مشاع. أرضكم هويّتكم، وهي مسؤوليّتكم أنتم، فحافظوا عليها.

ارضٌ وشعب، هذا هو الوطن الذي أقسمنا يمين المحافظة عليه واحترام دستوره وقوانينه، والدفاع عن أرضه واستقلاله، وحماية شعبه وتأمين عيشه الكريم؛ فمن أجل هذه المهمّات الأساسيّة وجدت المؤسّسات التي تشكّل الدولة الراعية لشؤون الوطن والمواطنين.
لقد عانت مؤسّساتنا ولّما تزل، من وهن تضاعَف بسبب الخلل في الممارسة السياسية والدستورية. وعلى الرّغم من كلّ المعوقات، تمكنا

بعد طول معاناة، من نسج وفاق شكّل بدايةً لحقبة جديدة، أنتجت عودةً إلى مؤسّسات الدولة. ولكن، لا يمكن لهذه المؤسّسات بعد الآن أن تنهض من جديد، ما لم يتمّ تحديثها، وتغيير أساليب العمل وقواعده.

أيّها اللبنانيّون،
مهما اعتمدنا من تغيير، فلن تستقيم الأمور ما لم نحرّر العنصر البشري من ثقافة الفساد. وهذا ما يجب أن يتجلّى أوّلاً في الصفات الخلقيّة للأشخاص في أعلى مستويات المسؤوليّة، إذ عليهم أن يكونوا القدوة. ويحضرني هنا موقفٌ لرئيس القضاة في إحدى الدول الكبرى، عندما أراد اختيار قاضٍ يكمل به عديد محكمته، استدعى أحد المحامين الشباب، وسأله عمّا إذا كان راغباً بالانضمام إلى المحكمة. ارتبك المحامي وحاول الاعتذار، لأنّه حديثٌ في ممارسة المهنة وقليل الخبرة. فأجابه القاضي «نعرف أنّك شريف ومستقيم وتعمل جاهداً، وإذا كنت ملمّاً ببعض القوانين فهذا ممكن أن يساعدك».
نعم، الصفات الأخلاقيّة تأتي أولاً، ثمّ العمل الجادّ والدؤوب الذي يراكم المعرفة. وبهذه القيم نستطيع أن نطهّر النفوس من ثقافة الفساد، ونعمّر الوطن، ونرتقي بشعبنا إلى أفضل المستويات؛ فمفاعيل الفساد فتّاكة، وقد تذهب من سرقة أموال الناس إلى هدر المال العامّ حتّى إفلاس البلد، ومن خيانة وطن حتّى بيعه بالمزاد.. وربّ سائلٍ لماذا كلّ هذا الفساد المستشري؟ وهل الفساد ضريبة مفروضة على مجتمعنا ووطننا فقط؟ بالطبع لا، فالفساد جزء من الطبيعة البشريّة، ولكنه يكافَح بالتربيّة من خلال تنمية سلّم القيم، وبالقانون من خلال التشريع الملائم.

أيّها اللبنانيّون،
لنا إخوة مواطنون يقطنون في المناطق الحدوديّة، من الشمال إلى الجنوب، ويشكّلون الدرع الأول لحماية لبنان. علينا أن نوليهم اهتماماً خاصّاً، لتنمية بلداتهم وقراهم؛ فنطوّر أريافنا، ونعزّز

ارتباط سكانها بالدولة، ممّا يشدّ أيضاً أواصر الوحدة الوطنية، ويحدّ من هجرة الأرض. إنّ المجتمع العائش في العوز والحاجة معرّض للتجارب القاسية وما ينتج عنها من خلل أمنيّ واضطراب اجتماعيّ. والوطن لا يحيا فقط بمدنه وضواحيه المكتظّة، بل بانتشار سكّاني متوازن على مختلف أراضيه.

أيّها اللبنانيّون،
على الرغم مما جرى ويجري حول لبنان من مصالح متصادمة وانقسامات عميقة، وفي الداخل من تجاذبات تهدّد بنية الكيان والوحدة الوطنيّة، بقي جيشنا مؤمناً برسوليّة دوره وشموليّة قسمه. فكان القوّة التي تجلّت نموذج وحدة وتماسك شعب. حافظ على الاستقرار، فاستحقّ ثقة المواطنين، ورأوا فيه مصدر أمن وطمأنينة، وضمانة توحيد وسيادة.
عندما تهدّد الأخطار الوطن، يبقى الجيش صمّام أمانه، والنواة الصلبة لوحدته الوطنيّة، فهو من كلّ أرضه ولكلّ أرضه، وهو من كلّ شعبه ولكلّ شعبه، ولا يستطيع إلّا أن يكون كذلك، لأنه متّحد بشعبه، قدراً ومصيراً ودماً.
وما يقوم به جيشنا في الداخل يستطيع أيضاً أن يقوم به على الحدود، إذا ما تعزّزت قدراته التقنيّة، وتدرّب على أساليب ملائمة لأنواع القتال المحتملة، التي سيواجهها في المستقبل. وعلى الدولة تترتّب مسؤوليّة إعداد الجيش رجالاً وتجهيزاً، فالأوطان لا تحمى إلا بأبنائها.

أيّها الجنود،
ويبقى الاستقلال الأمانة الكبرى في أعناقكم، هو قسمٌ تعهّدتم فيه الذود عن الوطن، والبذل في سبيله، حتّى الفداء، فلا تتردّدوا أبداً في إطلاق صرختكم: لبيك لبنان.

أيّها اللبنانيّون:
طالما ناديتكم بشعب لبنان العظيم، وذلك لأنّني مؤمن بعظَمة شعبٍ يخرج من بين أنقاض منزله المهدّم، ينفض التراب عن وجهه، يشمّر عن زنوده، ويباشر رصف الحجارة من جديد. واليوم، حجارة الوطن تحتاج إلى الرصف، وإنّي لعلى ثقة بأن سواعدكم، التي ما بخلت بجهد في الأزمنة الصعبة، لن يتسلّل إليها الآن تعب أو وهن.

آمالكم المعقودة على هذا العهد كبيرة، بحجم تضحياتكم ومعاناتكم وانتظاركم. وكما بدأنا هذه الطريق معاً، سنكملها معاً؛ فجهّزوا سواعدكم لأنّ أوان بناء الوطن قد حان، وورشة البناء تحتاج إلى الجميع، وخيرها سيعمّ الجميع.

عشتم وعاش لبنان

الفهرس

الباب الأوّل
ضِدٌّ وبِدٌّ ١٣

تتصادم الأضداد؟ تتكامل؟
الأكيد أنها تؤثّر فينا، لتصبغ حياتنا.
ما من أحد استثار هذه الأضداد
أكثر من ميشال عون
إن عند محبيه، أو عند منتقديه.
١٢ ثنائيّة متضادّة و١٢ درساً في الحياة.

الباب الثاني
تساؤلات ١٩

كلمات لم تأت وليدة الصدفة
بل جاءت منتقاة بعناية
ومحدّدة بكل صفاء. تسبق الزمن بذكاء.

الباب الثالث
الحبّ بالجمع ٣١

بالتحديد أو من دون حدود
مراحل تحكي عمّا يعطي معنى للحياة ومغزى

الباب الرابع

الباب الخامس

قبل أن نطوي الصفحة الأخيرة، تلحّ علينا الرغبة بتقاسم تلك اللحظات الثمينة مع الجنرال، حينما، بعد ٢٦ عاماً من إبعاده بالقوة عن بعبدا، عاد اليها مُنتخباً للموقع الأوّل في الجمهوريّة اللبنانيّة.

ملحق

«ليست السياسة فن الممكن فقط،
إنما هي أيضاً
رفض اللامقبول»

أتمّ ميشال عون دورة تطبيقيّة على المدفعيّة في **Châlons-sur-Marne** في فرنسا بين عاميّ ١٩٥٨ و١٩٥٩، ودورة مدفعيّة متقدّمة في أميركا -**USA Army Artillery and Missile School** في العام ١٩٦٦. ودورة أركان الحرب العليا في باريس بين عامي ١٩٧٨ و١٩٨٠.

وقد نال خلال حياته العسكريّة العديد من الأوسمة الوطنيّة، أبرزها وسام الحرب خمس مرّات، وسام الجرحى، وسام الاستحقاق اللبناني درجة الوشاح الأكبر، وسام الاستحقاق اللبناني الفضي، وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الأولى، وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الثانيّة، وسام الأرز الوطنيّ من رتبة الوشاح الأكبر، وسام الأرز الوطنيّ من رتبة فارس، وسام الأرز الوطنيّ من رتبة ضابط... بالإضافة إلى وسام جوقة الشرف الفرنسي من رتبة كومندور في ٢٩ كانون الثاني ١٩٨٦.

Designed & Printed by Chemaly & Chemaly s.a.l. - Tel: (01) 510385 / 6

أؤمن ما به



«عون رجع»، ليس فقط بأحرف خُطّت على عجل، على جدران بلد نُفي منه، إنما رئيساً في القصر الذي أجبرته معادلة القوّة على مغادرته منذ ست وعشرين سنة. خسر معركة، وها هو اليوم يربح الحرب... حرب الحقيقة.

إنّه أشهر من جنرال على علم، لكنه لم يُكتشف بعد. والمفارقة، محبّوه، مثلهم مثل مبغضيه، يجهلون بالقدر نفسه، مدى اتساع فلسفة الحياة عنده، ومدى تمكنه من سبر أغوار المعرفة.

لم يستطع أحد أن يستثير في الآخر الشعور والشعور المضاد في آن، مثلما فعل الجنرال، وذلك من دون أن يغيّر شيئاً في مواقفه التي تبقى هي هي.

التقيت ميشال عون قبل أشهر من وصوله إلى قصر بعبدا، وطلبت منه صياغة ما به يؤمن، ضمن أسئلة وأجوبة لا تحضير مسبقاً لها، وحوارات غير مترابطة. وافق، تاركاً أفكاره تنساب بحرية. جوهر ما هو أساسي عنده، يُرسم ببضع كلمات وبكثير من الحسّ المرهف، كي لا يبقى لنا أخيراً من الجنرال، سوى الإنسان، بصيغة المفرد، وبصفة الاستثنائي.

إنّه كتاب – وثيقة، يُغرس كأرزة على قمم لبنان، ويعود ريعه، وفق ما ارتأت مؤسّسة ميشال عون، للعمل على وصل غابات الأرز بعضها ببعض، ليتكلّل لبنان بأرزه.

العماد ميشال عون هو رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة منذ ٣١ تشرين الأوّل ٢٠١٦. كان قائد الجيش اللبناني من العام ١٩٨٤ وحتّى العام ١٩٩٠. وهو مؤسّس حزب التيار الوطني الحر.

ديزيريه صادق، هي صحافية وكاتبة للعديد من الكتب، منها كتاب «أرز لبنان» الذي نال جائزة «أكاديمية العلوم الأخلاقيّة والسياسيّة» في باريس، في العام ١٩٩١.

ديزيريه صادق

ISBN 978-9953-0-39558



الصياغة العربية: رلى نصّار
الصورة : فارس جمّال
الغلاف: Clémentine SAL